

سلسلة كتب ورسائل في العقيدة

كتاب التوحيد

لإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

وكتاب

القول للبيد في مقاصد التوحيد

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعد

اعتنى به وخرجه أحاديثه
والمترضى الترمذى أحمد

مجموعة التحف النفايس الدولية
للنشر والتوزيع

سلسلة كتب ورسائل في العقيدة ①

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

لِلإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
١١١٥ - ١٢٠٦ هـ - رحمه الله

وَكِتَابُ الْقَوْلِ لِلسَّيِّدِ فِي مَقَاصِدِ التَّوْحِيدِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرٍ سَعْدِي
١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ - رحمه الله

اَعْتَنَى بِهِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ
د. المَرْتَضَى الزَّيْنُ أَحْمَدُ

مَجْمُوعَةُ التَّحْقِيقِ النَّفَائِيسِ الدَّوْلِيَّةِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ



حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

مَجْمُوعَةُ الْحَقَائِقِ الْإِسْلَامِيَّةِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ

هاتف: ٤٧٨٢-٥٢ - فاكس: ٤٧٩٤٥٦٠
صِب: ٤٣٣٥٢ - الرمز البريدي: ١١٥٦١
الرياض - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢] .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١] .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار^(١) .

أما بعد، فإن توحيد الله وإفراده بالعبادة أساس هذا الدين، وهو الغاية التي خلق الله الثقلين - الجن والإنس - لتحقيقها، قال الله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦] وقد أمر الله تعالى الناس كلهم بعبادته كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ٢١] ولقد بعث سبحانه الرسل كلهم للدعوة لتوحيده وإفراده بالعبادة (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: ٣٦] (وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥] .

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يستفتح بها خطبه ومواظبه، رواه مسلم في صحيحه : كتاب الجمعة باب خطبته ﷺ في الجمعة (١٥٣/٦) مع شرح النووي والبيهقي في سننه (٢١٤/٣) وأحمد في مسنده (٣٩٢/١) وغيرهم .

وهذا المبدأ مع وضوحه وأهميته تساهل فيه كثير من الناس ، وزهد فيه كثير من الدعاة ، وقال بعضهم إن الاهتمام بهذا الأصل والدعوة إليه يفرق المسلمين ويمزق وحدتهم ، وحسبهم أن يقول المسلم لا إله إلا الله بلسانه ويصلي ويصوم ويؤدي بقية أركان الإسلام ، ولا مانع عند هؤلاء أن يكون المسلم بهذه الصفة ولو كان ينقض توحيده بدعاء الأموات والاستغاثة بهم . ولهذا - وغيره - فإن الدعوة إلى بيان توحيد الله ، وتوضيح نواقضه والتحذير منها ، وبيان حقيقة ما دعا إليه رسول الله ﷺ وحمايته ﷺ لتوحيد الله وتحذيره من الشرك وأسبابه من الأمور الهامة التي يجب على الدعاة الاهتمام بها ، وتقديمها في دعوتهم إلى الله على كل شيء ، ومن الكتب التي بينت هذه الأمور ووضحت حقيقة التوحيد (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - الإمام المجدد .

شروح هذا الكتاب :

- لقد لقي كتابه هذا عناية كبيرة من العلماء ، وشرحه جماعة منهم ، فمن ذلك :-
- (١) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ١٢٣٣هـ
 - (٢) فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ١٢٨٥هـ
 - (٣) القول السديد شرح في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ١٣٧٦هـ

كتاب القول السديد :

ومن هذه الشروح كتاب (القول السديد) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - وهو شرح مختصر وسهل العبارة قد وصفه مؤلفه - رحمه الله - بقوله :

(فقد سبق أن كتبنا تعليقاً لطيفاً في مواضع من (كتاب التوحيد) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - قدس الله روحه -.)^(١)، وذكر - رحمه الله - أن (كتاب التوحيد): (يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة: يذكر أحكامه، وحدوده، وشروطه، وفضله، وبراهينه، وأصوله، وتفصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل).^(٢)

وقد بيّن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هذه المسائل - وغيرها - بياناً لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن، وقد عبر عن ذلك في نهاية كتابه بقوله:

(وهذا آخر التعليق المختصر على (كتاب التوحيد)، وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها، والحمد لله على تيسيره ومنته).^(٣)

وتتشرف (دار التحف النفائس الدولية) التي تتولى إصدار (سلسلة كتب ورسائل في العقيدة) أن يكون أول إصدار لهذه السلسلة هذا الكتاب (القول السديد في مقاصد التوحيد) مساهمة منها في نشر عقيدة السلف الصالح، والدعوة إلى توحيد الله، ولقد حرصت في هذه الطبعة على إتقانها مقابلة وتصحيحاً وإخراجها إخراجاً جيداً، خالية من الأخطاء إن شاء الله، وتخرج أحاديثها بذكر اسم الكتاب، ورقم الجزء، والصفحة، ورقم الحديث - إن وجد - وبيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف بنقل أقوال علماء الحديث في ذلك، وقد اعتمدنا في هذه الطبعة على الطبعة التي نشرتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) وقد تم طبعها في (شركة الطباعة

(١) القول السديد، ص: ٣

(٢) القول السديد، ص: ٣.

(٣) القول السديد، ص: ١٨٦.

السعودية المحدودة) عام ١٤٠٤ هـ الموافق ١٩٨٤ م. ولعلها من اتقن طبعته،
ولعل الله ييسر لنا الحصول على أصول هذا الكتاب (مخطوطاته) حتى يتسنى لنا
نشره وتحقيقه تحقيقاً أكثر اتقاناً وتنقيحاً.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب في تصحيح المفاهيم وبيان حقيقة ما جاء به
رسول الله ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المرتضى الزين أحمد
الرياض

١٤١٦/٤/٤ هـ

مقدمة

القول السديد في مقاصد التوحيد

الحمد لله نَحْمَدُهُ ونُسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أَنْفُسِنَا
وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا . من يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، وَمَنْ يَضِلَّ فلا هَادِيَ له ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحده لا شَرِيكَ له ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أما بعد : فقد سَبَقَ أَنْ كَتَبْنَا تعليقًا لطيفًا في مواضع من كتاب التوحيد
لشيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب) قَدَّسَ اللهُ روحه ، فَحَصَلَ فيه نفع ومَعُونَةٌ
للمُشْتَغِلِينَ ، ومُسَاعَدَةٌ للمُعَلِّمِينَ ، لما فيه من التفصيلات النافعة مع الوضوح
التام . وطُبِعَ بمطبعة الإمام ثُمَّ نَفِدت نسخته مع كثرة الطَّلَبِ عليه . ودعت
الحاجة الشديدة إلى إعادة طبعه ونشره ، وفي هذه المرة بدا لي أَنَّ أُقَدِّمَ أمام ذلك
مقدمة مختصرة تحتوي على مُجْمَلَات عقائد أهلِ السُّنَّةِ ، في الأصول وتوابعها ،
فأقول مستعينًا بالله :

مقدمة

تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخلاصتها

المستمدة من الكتاب والسنة

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود، المتفرد بكل كمال، فيعبدونه وحده مخلصين له الدين .

فيقولون : إن الله هو الخالق الباريء، المصور الرزاق المعطي المانع المدبر لجميع الأمور .

وإنه المألوه المعبود الموحد المقصود، وإنه الأول الذي ليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء .

وإنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار، علو الذات وعلو القدر، وعلو القهر .

وإنه على العرش استوى، استواء يليق بعظمته وجلاله، ومع علوه المطلق وفوقيته، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن، والعالم العلوي والسفلي، وهو مع العباد بعلمه، يعلم جميع أحوالهم، وهو القريب المجيب .

وإنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات، ولا غنى لأحد عنه طرفة عين، وهو الرؤوف الرحيم، الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله، فهو الجالب للنعم، الدافع للنقم .

ومن رحمته أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُسْتَعْرِضُ حَاجَاتِ الْعِبَادِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ. فيقول: «لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ»^(١) حتى يطلع الفجر، فهو ينزل كما يشاء ويفعل كما يريد.

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١].

ويعتقدون أَنَّهُ الحكيم، الذي له الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ في شرعه وقدره، فما خلق شيئاً عبثاً، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم.

وَأَنَّهُ التَّوَّابُ العفو الغفور، يقبلُ التَّوْبَةَ عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين.

وهو الشَّكُورُ الذي يشكرُ القليل من العمل، ويزيد الشاكرين من فضله.

ويصفونه بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية، كالْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ، والسمع والبصر، وكمال القُدْرَةِ، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقُدْرته، كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وَأَنَّهُ يتكَلَّمُ بِمَا يَشَاءُ كَيْفَ يَشَاءُ، وكلماته لا تنفد، ولا تبید.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ولا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ يفعل ما يُريد، ويتكَلَّمُ بِمَا يَشَاءُ، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية. فهو الحاكم المالك ومن سواه مملوك محكوم عليه فلا خروج للعباد عن مُلْكِهِ ولا عن حُكْمِهِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وتواترت به السُّنَّةُ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى عِيَانًا جَهْرَةً، وَأَنَّ نَعِيمَ رُؤْيَيْهِ والفوز برضوانه أَكْبَرُ النِّعَمِ وَالذُّهُ.

(١) رواه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (٣٨٤/١) حديث رقم (١٠٩٤). ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٥٢٢/١) حديث رقم (٧٥٨) دون الجملة الأولى (لا أسأل عن عبادي غيري).

وَأَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبَدًا، وَأَنَّ أَرْبَابَ الْكِبَائِرِ إِذَا مَاتُوا عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَا حَصَلٍ لَهُمْ مَكْفَرٌ لَذُنُوبِهِمْ وَلَا شَفَاعَةٌ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ لَا يُخَلَّدُونَ فِيهَا، وَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْهَا.

وَأَنَّ الْإِيمَانِ يَشْمَلُ عَقَائِدَ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالَهَا، وَأَعْمَالَ الْجَوَارِحِ وَأَقْوَالَ اللِّسَانِ، فَمَنْ قَامَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا، الَّذِي اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ وَسَلَامَ مِنَ الْعِقَابِ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا نَقَصَ مِنْ إِيْمَانِهِ بِقَدَرِ ذَلِكَ. وَلِذَلِكَ كَانَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ.

وَمِنْ أَصُولِهِمُ السَّعْيُ وَالْجِدُّ فِيمَا يَنْفَعُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ. فَهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى مَا يَنْفَعُهُمْ وَيَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ.

وكَذَلِكَ يَحَقِّقُونَ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ، وَيَتَّبِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْإِخْلَاصِ لِلْمَعْبُودِ، وَالْمَتَابَعَةِ لِلرَّسُولِ، وَالنَّصِيحَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعَ طَرِيقِهِمْ.

فصل

وَيَشْهَدُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أُرْسِلَ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، أَرْسَلَهُ بِصَلَاحِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الدُّنْيَا، وَلِيَقُومَ الْخَلْقُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَيَسْتَعِينُوا بِرِزْقِهِ عَلَى ذَلِكَ.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْلَمُ الْخَلْقِ وَأَصْدَقُهُمْ وَأَنْصَحُهُمْ، وَأَعْظَمُهُمْ بَيَانًا، فَيَعْظُمُونَهُ وَيَحْبُونَهُ، وَيَقْدُمُونَ مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَةِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَيَتَّبِعُونَهُ فِي أَصُولِ دِينِهِمْ وَفُرُوعِهِ.

وَيَقْدُمُونَ قَوْلَهُ وَهَدْيَهُ عَلَى قَوْلِ كُلِّ أَحَدٍ وَهَدْيِهِ.

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لَهُ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْخَصَائِصِ وَالْكَمَالَاتِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ

لأَحَدٍ، فهو أَعْلَى الخَلْق مَقَامًا وَأَعْظَمُهُمْ جَاهًا، وَأَكْمَلُهُمْ فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ، لَمْ يَبْقَ خَيْرٌ إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَرَهُمْ مِنْهُ.

وَكَذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، وَأَنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ - خَيْرُهَا وَشَرُّهَا - قَدْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُ اللَّهِ، وَجَرَى بِهَا قَلَمُهُ، وَنَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُهُ، وَتَعَلَّقَتْ بِهَا حِكْمَتُهُ، حَيْثُ خَلَقَ لِلْعِبَادِ قُدْرَةً وَإِرَادَةً، تَقَعُ بِهَا أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ بِحَسَبِ مَشِيئَتِهِمْ، لَمْ يَجْبِرْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ مَخْتَارِينَ لَهَا، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ حَبَبَ إِلَهُمُ الْإِيمَانَ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَهُ إِلَهُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ بِعَدْلِهِ وَحُكْمَتِهِ.

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ الشُّنَّةِ : أَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تَوَجَّهَ الشَّرِيعَةُ، وَيَأْمُرُونَ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْجِيرَانِ وَالْمَالِيكَ وَالْمُعَامَلِينَ، وَمَنْ لَهُ حَقٌّ، وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا، وَيَنْهَوْنَ عَنِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَأَرْذَلِهَا.

وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا وَيَقِينًا أَحْسَنُهُمْ أَعْمَالًا وَأَخْلَاقًا، وَأَصْدَقُهُمْ أَقْوَالًا، وَأَهْدَاهُمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيلَةٍ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ.

وَيَأْمُرُونَ بِالْقِيَامِ بِشَرَائِعِ الدِّينِ، عَلَى مَا جَاءَ عَنْ نَبِيِّهِمْ فِيهَا وَفِي صِفَاتِهَا وَمَكْمَلَاتِهَا، وَالتَّحْذِيرِ عَنْ مُفْسِدَاتِهَا وَمَنْقَصَاتِهَا.

وَيُرُونَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاضِيًا مَعَ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ ذَرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ، جِهَادُ الْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَجِهَادُ السَّلَاحِ، وَأَنَّهُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُدَافِعَ عَنِ الدِّينِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ وَمُسْتَطَاعٍ.

ومن أصولهم الحثُّ على جمع كلمة المسلمين، والسَّعي في تقريب قلوبهم وتأليفها، والتَّحذير من التَّفَرُّقِ والتَّعادي والتَّباغُضِ والعملُ بكلِّ وسيلةٍ توصل إلى هذا.

ومن أصولهم النهي عن أذية الخلق في دماءهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم، والأمرُ بالعدلِ والإنصافِ في جميع المعاملات، والتَّذَبُّبُ إلى الإحسانِ والفضلِ فيها.

ويؤمنون بأنَّ أفضلَ الأممِ أُمَّةَ محمدٍ ﷺ، وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ خصوصاً الخلفاء الراشِدُونَ والعشرة المشهودُ لهم بِالْجَنَّةِ، وأهل بَدْر، وبيعة الرضوان والسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ من المهاجرين والأنصار. فيحبُّون الصَّحابةَ ويدينون لله بذلك.

وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيلَ عن مساوئهم.

ويدينون لله باحترام العلَّماء الهداة وأئمة العدل، ومن لهم المقاماتُ العاليةُ في الدِّين والفضلِ المتنوعِ على المسلمين، ويسألون الله أن يُعيذهم من الشُّكِّ والشُّركِ والشِّقاقِ والنِّفاقِ وسوء الأخلاقِ، وأن يُثبتهم على دينِ نبيهم إلى المماتِ.

هذه الأصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون، وإليها يدعون.



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقولُ الله - تعالى - : (وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات : ٥٦] .

وقوله : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)

[النحل : ٣٦]

وقوله : (﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فِئًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

وقوله : (﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾) [النساء : ٣٦] .

وقوله : (﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ * وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [الأنعام : ١٥١-١٥٣]

قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمته فليقرأ قوله تعالى:

(﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾) إلى قوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا). الآية^(١).

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَكْفُرُوا». أخرجاه في الصحيحين^(٢).

□ فيه مسائل:

- الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.
- الثانية: أن العبادة هي التوحيد: لأنَّ الخصومة فيه.
- الثالثة: أن مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ، ففيه معنى قوله: (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) [الكافرون: ٣].
- الرابعة: الحكمة في إرسال الرُّسُل.
- الخامسة: أن الرسالة عمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.
- السادسة: أن دين الأنبياء واحد.
- السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطَّاغوت، ففيه

(١) رواه الترمذي (السنن) ٢٦٤ / ٥ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة الأنعام) حديث رقم ٣٠٧٠ وقال: هذا حديث حسن غريب وفي إسناده (داود الأودي) وهو داود بن يزيد الأودي قال فيه ابن حجر في (التقريب) ٢٣٥ / ١: ضعيف. اهـ.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار (١٠٤٩ / ٣) حديث رقم (٢٧٠١). ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٥٨ / ١) حديث رقم (٣٠).

معنى قوله - تعالى - :

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)
الآية [البقرة : ٢٥٦] .

- **الثامنة:** أَنَّ الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله .
- **التاسعة:** عِظَم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل .

أولها : النهي عن الشرك .

- **العاشر:** الآيات المحكمات في سورة الإسراء .

وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله :

(لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُومًا) [الإسراء : ٢٢] .

وختمها بقوله :

(وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) [الإسراء : ٣٩] .

ونبّهنا الله سبحانه على عِظَم شأن هذه المسائل بقوله : (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) [الإسراء : ٣٩] .

- **الحادية عشرة:** آية سورة النساء التي تُسمّى آية الحقوق العشرة ، بدأها الله - تعالى -

- بقوله : (❦ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [النساء : ٣٦] .

- **الثانية عشرة:** التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

- **الثالثة عشرة:** معرفة حقّ الله علينا .

- **الرابعة عشرة:** معرفة حقّ العباد عليه إذا أدّوا حقه .

- **الخامسة عشرة:** أَنَّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

- **السادسة عشرة:** جواز كتمان العلم للمصلحة .

- **السابعة عشرة:** استحباب بشارة المسلم بما يسره .

- **الثامنة عشرة:** الخوف من الاتِّكَال على سِعة رحمة الله .

- **التاسعة عشرة:** قول المسؤول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

- **العشرون:** جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .
- **الحادية والعشرون:** تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه .
- **الثانية والعشرون:** جواز الإرداف على الذّابة .
- **الثالثة والعشرون:** فضيلة مُعَاذ بن جبل .
- **الرابعة والعشرون:** عِظَم شأن هذه المسألة .

[التمهيد:]

□ **كتاب التوحيد :**

هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره .

ولهذا استُغني بها عن الخطبة ، أي أَنَّ هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه ، وحدوده وشروطه ، وفضله وبراهينه ، وأصوله وتفصيله ، وأسبابه وثمراته ومقتضياته ، وما يزداد به ويقويه ، أو يضعّفه ويوهيه ، وما به يتم أو يكمل .

اعلم أَنَّ التوحيد المطلق : العلم والاعتراف بتفرد الربّ بصفات الكمال ، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال ، وإفراده وحده بالعبادة .

وهو ثلاثة أقسام :

- أحدها : توحيد الأسماء والصفات :

وهو اعتقاد انفراد الربّ - جلّ جلاله - بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال والجمال التي لا يشاركه فيها مُشَارِكٌ بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفى لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل .

ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

- الثاني : توحيد الربوبية :

بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه - وهم الأنبياء وأتباعهم - بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين.

- الثالث : توحيد الإلهية ويُقال له توحيد العبادة :

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما، لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرد به بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

* ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم : الدعوة إلى هذا التوحيد.

فذكر المصنف في هذه الترجمة من النصوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وأن ذلك حقه الواجب المفروض عليهم.

فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصاً محمد ﷺ.

وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه.

فالتوحيد هو حقّ الله الواجب على العبيد ، وهو أعظم أوامر الدين وأصل
الأصول كلها ، وأساس الأعمال .



باب

فضل التَّوْحِيدِ وما يَكْفُرُ من الذنوب

وقول الله تعالى :

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ)

[الأنعام : ٨٢] .

عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « من شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وكَلِمَتُهُ أَلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » . أَخْرَجَاهُ ^(١) .

ولهما في حديث عِثْبَانَ : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » ^(٢) .

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « قال موسى عليه السلام : يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قال : قُلْ يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قال : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا . قال : يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامَرُهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . رواه ابن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ^(٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب الأنبياء باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (١٢٦٧/٣) حديث رقم (٣٢٥٢) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٥٧/١) . حديث رقم (٢٨) .

(٢) جزء من حديث رواه البخاري : كتاب الصلاة ، باب المساجد في البيوت (١٦٤/١) حديث رقم (٤١٥) . ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعدد (١/٤٥٥ - ٤٥٦) حديث رقم (٣٣) .

(٣) رواه ابن حبان (موارد الظمان) ص ٥٧٧ حديث رقم (٢٣٢٤) والحاكم (المستدرک) ١/٥٢٨ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح وفي تصحيح إسناده نظر ، لأنه من رواية دراج عن أبي الهيثم وهي رواية متكلم فيها ، قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/٢٣٥ : (صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعيف . اهـ) .

وللتزمذني - وحسنه - عن أنس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابنَ آدم ، لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ، ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئاً : لأتيتك بقرابِها مغفرةً »^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى: سعة فضل الله .
- الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله .
- الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب .
- الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام .
- الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .
- السادسة: أنك إذا جمعتَ بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبينَ لك معنى قول : « لا إله إلا الله » وتبينَ لك خطأ المغرورين .
- السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .
- الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل « لا إله إلا الله » .
- التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخفُّ ميزانه .
- العاشرة: النصّ على أن الأرضين سبع كالسموات .
- الحادية عشرة: أن هُنَّ عماراً .
- الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية .
- الثالثة عشرة: أنك إذا عرفتَ حديث أنس عرفتَ أن قوله في حديث عتبان : « فإنَّ الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » . أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان .
- الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه .

(١) (سنن الترمذي) ٥/ ٥٤٨ (كتاب الدعوات) (باب فضل التوبة والاستغفار . .) حديث رقم (٣٥٤٠) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفي (تحفة الأشراف) ١/ ١٠٢ قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) .

- **الخامسة عشرة:** معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله .
- **السادسة عشرة:** معرفة كونه روحاً منه .
- **السابعة عشرة:** معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .
- **الثامنة عشرة:** معرفة قوله : «على ما كان من العمل» .
- **التاسعة عشرة:** معرفة أنَّ الميزان له كفتان .
- **العشرون:** معرفة ذكر الوجه .

[[العملية]] :

باب :

فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب :

* لَمَّا ذَكَرَ فِي التَّرْجَمَةِ السَّابِقَةِ وَجُوبَ التَّوْحِيدِ ، وَأَنَّهُ الْفَرْضُ الْأَعْظَمُ عَلَى جَمِيعِ الْعَبِيدِ ، ذَكَرَ هُنَا فَضْلَهُ وَهُوَ آثَارُهُ الْحَمِيدَةُ وَنَتَائِجُهُ الْجَمِيلَةُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَهُ مِنَ الْآثَارِ الْحَسَنَةِ ، وَالْفَضَائِلِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، مِثْلَ التَّوْحِيدِ . فَإِنَّ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَفَضَائِلِهِ .

* فَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَمَا يُكْفِّرُ مِنَ الذَّنُوبِ) مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ ، فَإِنَّ مَغْفِرَةَ الذَّنُوبِ وَتَكْفِيرَ الذَّنُوبِ مِنْ بَعْضِ فَضَائِلِهِ وَآثَارِهِ كَمَا ذَكَرَ شَوَاهِدُ ذَلِكَ فِي التَّرْجَمَةِ .

* وَمِنْ فَضَائِلِهِ : أَنَّهُ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِتَفْرِيجِ كُرْبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَدَفْعِ عِقَابَتَيْهَا .

وَمِنْ أَجْلِ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ يَمْنَعُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ . إِذَا كَانَ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ .

وَأَنَّهُ إِذَا كَمَلَ فِي الْقَلْبِ يَمْنَعُ دُخُولَ النَّارِ بِالْكَلِيَّةِ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ يَحْصُلُ لِمُصَاحِبِهِ الْهُدَى الْكَامِلَ وَالْأَمْنَ التَّامَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

* ومنها : أَنَّهُ السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه ، وَأَنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ .

* وَمِنْ أَعْظَمَ فَضَائِلِهِ : أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَتَوَقِّفَةٌ فِي قَبُولِهَا فِي كِمَالِهَا فِي تَرْتُّبِ الثَّوَابِ عَلَيْهَا عَلَى التَّوْحِيدِ ، فَكُلَّمَا قَوِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ كَمَلَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَتَمَّتْ .

* وَمِنْ فَضَائِلِهِ : أَنَّهُ يُسَهِّلُ عَلَى الْعَبْدِ فِعْلَ الْخَيْرِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَيُسَلِّيهُ عَنِ الْمَصِيبَاتِ ، فَالْمُخْلِصُ لِلَّهِ فِي إِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ تَخَفُ عَلَيْهِ الطَّاعَاتُ لِمَا يَرْجُو مِنْ ثَوَابِ رَبِّهِ وَرِضْوَانِهِ ، وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ تَرْكَ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ مِنَ الْمَعَاصِي ، لِمَا يَخْشَى مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ .

* وَمِنْهَا : أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا كَمَلَ فِي الْقَلْبِ حَبَّبَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَجَعَلَ مِنَ الرَّاشِدِينَ .

* وَمِنْهَا : أَنَّهُ يُخَفِّفُ عَنِ الْعَبْدِ الْمَكَارِهِ وَيَهْوِّنُ عَلَيْهِ الْآلَامَ . فَبِحَسَبِ تَكْمِيلِ الْعَبْدِ لِلتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ، يَتَلَقَّى الْمَكَارِهِ وَالْآلَامَ بِقَلْبٍ مَنْشَرٍ وَنَفْسٍ مَطْمَئِنَةٍ وَتَسْلِيمٍ وَرِضاً بِأَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلَّمَةِ .

* وَمِنْ أَعْظَمَ فَضَائِلِهِ : أَنَّهُ يَحَرِّرُ الْعَبْدَ مِنْ رِقِّ الْمَخْلُوقِينَ وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ وَخَوْفِهِمْ وَرَجَائِهِمْ وَالْعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ ، وَهَذَا هُوَ الْعِزُّ الْحَقِيقِيُّ وَالشَّرَفُ الْعَالِي .

وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُتَأَهِّلاً مُتَعَبِّدًا لِلَّهِ ، لَا يَرْجُو سِوَاهُ وَلَا يَخْشَى إِلَّا إِيَّاهُ ، وَلَا يَنْيَبُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ فَلَاحُهُ وَيَتَحَقَّقُ نَجَاحُهُ .

* وَمِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِي لَا يُلْحَقُهُ فِيهَا شَيْءٌ : أَنَّ التَّوْحِيدَ إِذَا تَمَّ وَكَمَلَ فِي الْقَلْبِ وَتَحَقَّقَ تَحَقُّقاً كَامِلاً بِالْإِخْلَاصِ التَّامِ فَإِنَّهُ يَصِيرُ الْقَلِيلُ مِنْ عَمَلِهِ كَثِيراً ، وَتُضَاعَفُ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ بِغَيْرِ حَصْرِ وَلَا حِسَابٍ ، وَرَجَحَتْ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ بِحَيْثُ لَا تُقَابِلُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَعِمَارُهَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ كَمَا فِي

حديث أبي سعيد المذكور في الترجمة ، وفي حديث البطاقة التي فيها لا إله إلا الله التي وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب ، كل سجل يبلغ مدّ البصر . وذلك لكمال إخلاص قائلها ، وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ ، لأنّه لم يكن في قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد .

* ومن فضائل التوحيد : أَنَّ الله تَكَفَّلَ لِأَهْلِهِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَحُصُولِ الْهُدَايَةِ وَالتَّيْسِيرِ لِلْيُسْرَى وَإِصْلَاحِ الْأَحْوَالِ وَالتَّسْدِيدِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

* ومنها : أَنَّ الله يدافع عن الموحِّدين أَهْلَ الْإِيمَانِ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَيَمْنَعُهُمْ بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ وَالطَّمَأْنِينَةَ بِذِكْرِهِ ، وَشَوَاهِدَ هَذِهِ الْجَمْلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَاللهُ أَعْلَمُ .



باب :

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حَسَابٍ

وقول الله تعالى :

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [النحل : ١٢٠].
وقال : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ رَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ) [المؤمنون : ٥٩].

عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ فَقُلْتُ : أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ : أَمَّا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لِدُعْتٍ، قَالَ : فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ : ارْتَقَيْتُ. قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ : حَدِيثُ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، قَالَ : وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ : حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ أَنَّهُ قَالَ : « لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ ». قَالَ : قَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حَسَابٍ وَلَا عَذَابٍ »^(١).

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسَ فِي أَوْلَئِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ.

(١) رواه البخاري في (الصحیح) ١٢٥١/٣ (كتاب الأنبياء) (باب وفاة موسى وذكره بعده). حديث رقم ٣٢٢٩ ولم يسق لفظه. وفي (كتاب الطب) (باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو). ٢١٥٧/٥ حديث رقم (٥٣٧٨) وفي مواضع أخرى.
ورواه - أيضاً - مسلم في (الصحیح) ١٩٩/١ (كتاب الإيمان) (باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب). حديث رقم (٢٢٠) واللفظ المذكور له.

فقال : «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» .
 فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنَ ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ ، قَالَ : «أَنْتَ مِنْهُمْ» ،
 ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَقَالَ : «سَبِّحْ بِهَا عُكَّاشَةُ» .

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأولى** : معرفة مراتب الناس في التوحيد .
- **لثانية** : ما معنى تحقيقه ؟ .
- **الثالثة** : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكُ من المشركين .
- **الرابعة** : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .
- **الخامسة** : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .
- **السادسة** : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .
- **السابعة** : عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل .
- **الثامنة** : حرصهم على الخير .
- **التاسعة** : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .
- **العاشرة** : فضيلة أصحاب موسى .
- **الحادية عشرة** : عرض الأمم عليه ، عليه الصلاة والسلام .
- **الثانية عشرة** : أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا .
- **الثالثة عشرة** : قلة من استجاب للأنبياء .
- **الرابعة عشرة** : أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ .
- **الخامسة عشرة** : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .
- **السادسة عشرة** : الرخصة في الرقية من العين والحُمّة .
- **السابعة عشرة** : عمق علم السلف لقوله : قد أحسنَ من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا . فَعَلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ لَا يَخَالِفُ الثَّانِي .
- **الثامنة عشرة** : بُعِدَ السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .
- **التاسعة عشرة** : قوله : «أَنْتَ مِنْهُمْ» علم من أعلام النبوة .

• العشرون : فضيلة عكاشة .

• الحادية والعشرون : استعمال المعارض .

• الثانية والعشرون : حسنُ خلقه ﷺ .

[التعليق :]

باب :

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وهذا الباب تكميل للباب الذي قبله وتابع له .

فإنَّ تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصي التي تُكدر التوحيد، وتمنع كماله وتعوقه عن حصول آثاره .

فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيية مخبئة إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها .

ومن أخص ما يدل على تحقيقه : كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين في شأن من شؤونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله ووجهه وبغضه وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله، متبعاً فيها رسول الله .

والناس في هذا المقام العظيم درجات : (ولكل درجات مما عملوا) .

وليس تحقيق التوحيد بالتمني ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلى العاطلة، وإنما ذلك بما وقر في القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان

وصدقته الأخلاق الجميلة ، والأعمال الصالحة الجليلة .
فمن حقق التوحيد على هذا الوجه حصلت له جميع الفضائل المشار إليها في
الباب السابق بأكملها والله أعلم .



باب :

الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)

[النساء : ٤٨]

وقال الخليل عليه السلام : (وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) [إبراهيم : ٣٥] .

وفي الحديث : «أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر» ، فسُئِلَ عنه فقال : «الرياء»^(١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءً دَخَلَ النَّارَ» . رواه البخاري^(٢) .

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ»^(٣) .

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- الأولى : الخوف من الشرك .
- الثانية : أَنَّ الرياءَ من الشرك .
- الثالثة : أَنَّهُ من الشرك الأصغر

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٤٢٨/٥ و٢٤٩ والبغوي في (شرح السنة) ٣٢٣/١٤ - ٣٢٤ حديث رقم (٤١٣٥) من طريقين عن محمود بن الربيع قال المنذري (الترغيب والترهيب) ٥٧/١ (رواه أحمد بإسناد جيد) . وقال ابن حجر في (بلوغ الحرام) ص ٣٠٢ : (أخرجه أحمد بإسناد حسن . اهـ) .

(٢) رواه البخاري : كتاب التفسير باب قوله : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ، (١٦٣٦/٤) حديث رقم (٤٢٢٧) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (٩٤/١) حديث رقم (٩٣) .

- **الرابعة :** أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .
- **الخامسة :** قرب الجنة والنار .
- **السادسة :** الجمع بين قربهما في حديث واحد .
- **السابعة :** أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ، ولو كان من أعبد الناس .
- **الثامنة :** المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .
- **التاسعة :** اعتباره بحال الأكثر لقوله :
- (رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) [إبراهيم : ٣٦] .
- **العاشر :** فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري .
- **الحادية عشرة :** فضيلة من سلم من الشرك .

[التعليق :

باب :

الخوف من الشرك

الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة وهو نوعان : شرك أكبر جلي ، وشرك أصغر خفي .

فأما الشرك الأكبر :

فهو أن يجعل لله ندًا يدعو كما يدعو الله أو يخافه أو يرجوه أو يحبّه كحبّ الله ، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة ، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء ، وهذا المشرك الذي حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار . ولا فرق في هذا بين أن يُسمّى تلك العبادة التي صرفها لغير الله عبادة ، أو يسميها توسلاً ، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء فكل ذلك شرك أكبر ، لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها .

وأما الشرك الأصغر :

فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسَّل بها إلى الشرك، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك.

فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقَّق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلُّق بالله تألهاً، وإنابةً وخوفاً ورجاءً وطمعاً وقصدًا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإنَّ الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكلُّ من وقع منه نوع من الشرك فلضعفٍ إخلاصه.



باب:**الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله**

وقول الله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [يوسف : ١٠٨] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما بعث مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فليَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وفي رواية - : «إِلَى أَنْ يُوْحِدُوا اللَّهَ» فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تَتَّخِذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرْدٌ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ .^(١) أَخْرَجَاهُ .

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ : «لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» . فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُنَّ لَيْلَتِهِمْ ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ : «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» . فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ ، قَالَ : فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ ؛ فَأُتِيَ بِهِ ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ ، فَبَرَأَ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ ، فَأَعْطَاهُ الرَايَةَ ، فَقَالَ : «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

(١) رواه البخاري : كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (١٥٨٠ / ٤) حديث رقم (٤٠٩٠) ومسلم : كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (٥٠ / ١) حديث رقم (١٩) .

فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعَمِ^(١). يَدُوكُنْ:
أي يخوضون.

□ فيه مسائل

- **الأولى:** أن الدعوة إلى الله طريق من أتبع رسول الله ﷺ.
- **الثانية:** التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.
- **الثالثة:** أن البصيرة من الفرائض.
- **الرابعة:** من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيه الله تعالى عن المسببة.
- **الخامسة:** أن من قبح الشرك كونه مسببة لله.
- **السادسة:** - وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.
- **السابعة:** كون التوحيد أول واجب.
- **الثامنة:** أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة.
- **التاسعة:** أن معنى: «أن يوحدوا الله» معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.
- **العاشرة:** أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

- **الحادية عشرة:** التنبيه على التعليم بالتدريج.
- **الثانية عشرة:** البداءة بالأهم فالأهم.
- **الثالثة عشرة:** مصرف الزكاة.
- **الرابعة عشرة:** كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣/١٣٥٧) حديث رقم (٣٤٩٨). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤/١٨٧٢) حديث رقم (٢٤٠٦).

- **الخامسة عشرة :** النهي عن كرائم الأموال .
- **السادسة عشرة :** اتقاء دعوة المظلوم .
- **السابعة عشرة :** الإخبار بأنها لا تُحجب .
- **الثامنة عشرة :** من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .
- **التاسعة عشرة :** قوله : «لأعطين الراية» . الخ . علم من أعلام النبوة .
- **العشرون :** تفله في عينه علم من أعلامها أيضاً .
- **الحادية والعشرون :** فضيلة علي رضي الله عنه .
- **الثانية والعشرون :** فضل الصحابة في دوكلهم تلك الليلة ، وشغلهم عن بشارة الفتح .
- **الثالثة والعشرون :** الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها ممن سعى .
- **الرابعة والعشرون :** الأدب في قوله : «على رسلك» .
- **الخامسة والعشرون :** الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .
- **السادسة والعشرون :** أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا .
- **السابعة والعشرون :** الدعوة بالحكمة لقوله : «أخبرهم بما يجب عليهم» .
- **الثامنة والعشرون :** المعرفة بحق الله في الإسلام .
- **التاسعة والعشرون :** ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .
- **الثلاثون :** الحلف على الفتيا .

[التعليق :

باب :

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وهذا الترتيب الذي صنعه المؤلف في هذه الأبواب في غاية المناسبة ، فإنه ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله ، والحث عليه وعلى تكميله ، والتحقق

به ظاهراً وباطناً، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه .
ثم ذكر في هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبْدُ جَمِيعَ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ يَسْعَى فِي تَكْمِيلِ غَيْرِهِ - وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ - فَإِنَّهُمْ أَوَّلَ مَا يَدْعُونَ قَوْمَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهِيَ طَرِيقَةُ سَيِّدِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ﷺ لِأَنَّهُ قَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ أَعْظَمَ قِيَامٍ وَدَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لَمْ يَفْتَرِ وَلَمْ يَضْعِفْ حَتَّى أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وَهَدَى بِهِ الْخَلْقَ الْعَظِيمَ، وَوَصَلَ دِينَهُ بِبَرَكَةِ دَعْوَتِهِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَانَ يَدْعُو بِنَفْسِهِ وَيَأْمُرُ رُسُلَهُ وَأَتْبَاعَهُ أَنْ يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى تَوْحِيدِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ مُتَوَقِّفَةٌ فِي صَحَّتِهَا وَقَبُولِهَا عَلَى التَّوْحِيدِ.

فَكَمَّا أَنَّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَقُومَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَكُلٌّ مِنْ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ.

وَإِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَرَضاً عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ مَقْدُورِهِ.

فَعَلَى الْعَالَمِ مِنْ بَيَانِ ذَلِكَ وَالدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ وَالْهُدَايَةِ أَعْظَمَ مِمَّا عَلَى غَيْرِهِ مِنْ لَيْسَ بِعَالَمٍ.

وَعَلَى الْقَادِرِ بِيَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ جَاهِهِ وَقَوْلُهُ أَعْظَمُ مِمَّا عَلَى مَنْ لَيْسَتْ لَهُ تِلْكَ الْقُدْرَةُ.

قَالَ تَعَالَى : (فَانْقُضُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَظَعْتُمْ) [التغابن : ١٦] وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ عَلَى الدِّينِ وَلَوْ بِشَطَرِ كَلِمَةٍ، وَإِنَّمَا الْهَلَاكُ فِي تَرْكِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الدِّينِ.



باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) [الإسراء : ٥٧] .
 (وقوله :) (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف : ٢٦-٢٨] .

وقوله : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) الآية [التوبة : ٣١]

وقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) [البقرة : ١٦٥] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمُهُ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١) .

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها . وهي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة . وبينهما بأمور واضحة :

* منها : آية الإسراء . يَبَيِّنُ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ ، ففِيهَا بَيَانٌ أَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ .

* ومنها : آية براءة يَبَيِّنُ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة . . . إلخ (٥٣/١) حديث رقم (٢٣) .

وَيَبَيِّنُ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادُ فِي الْمَعْصِيَةِ ، لَا دَعَاؤَهُمْ إِلَّاهُمْ .

* ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار:

(إِنِّي بَرَأءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) [الزخرف : ٢٦-٢٧].

فاستثنى من المعبودين ربه .

وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْبِرَاءَةُ وَهَذِهِ الْمَوَالَاةُ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ : (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الزخرف : ٢٨] .

* ومنها : آية البقرة في الكفار الذين قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ :

(وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) [البقرة : ١٦٧] .

ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَجِبُونَ أُنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يَجِبُونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا وَلَمْ يَدْخُلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ يَمَنْ أَحَبَّ النَّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ ؟ وَكَيْفَ يَمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النَّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يُحِبَّ اللَّهَ ؟

* ومنها : قوله ﷺ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحَسَابَهُ عَلَى اللَّهِ » .

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَبَيِّنُ مَعْنَى : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُظَ بِهَا عَاصِمًا لِلْدَمِ وَالْمَالِ ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا ، بَلْ وَلَا إِقْرَارَ بِذَلِكَ ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، بَلْ لَا يَحْرِمُ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرِمِ مَالَهُ وَدَمَهُ ، فَيَالِهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا ، وَيَالِهَا مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ ، وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمَنَازَعِ .

[التعليق :]

باب :

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين .

وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف - رحمه الله - .

وحقيقة تفسير التوحيد : العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له .

وذلك يرجع إلى أمرين :

الأمر الأول : نفي الألوهية كلها عن غير الله ، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئاً من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ولا غيرهما ، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب .

والأمر الثاني : إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرد به معاني الألوهية كلها ، وهي نعوت الكمال كلها ، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله ، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه ، قاصداً بذلك وجه الله ، وطالباً رضوانه وثوابه .

ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله ، وأن اتخاذ أنداد يجهم كحب الله أو طيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل الله ينافي معنى لا إله إلا الله أشد المنافاة .

وبين المصنف رحمه الله أن من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله قوله ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» . فلم يجعل مجرد التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع

لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله فإن شك أو توقّف لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبيّن بذلك أنّه لا بدّ من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقاً، ولا بدّ من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقياداً، ولا بدّ من البراءة مما ينافي ذلك عقلاً وقولاً وفعلًا.

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لا بدّ أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإنّ هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية والله أعلم.



بَاب

من الشرك لبس الحلقة والخيطة ونحوهما

رفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) الآية . [الزمر : ٣٨] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صَفَرٍ ، فَقَالَ : « مَا هَذِهِ ؟ » قَالَ : مِنْ الْوَاهِنَةِ ، فَقَالَ : « انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا » . رواه أحمد بسند لا بأس به^(١) .

وله عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ »^(٢) .

وفي رواية : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ »^(٣) .

ولابن أبي حاتم عن حُذَيْفَةَ^(٤) : أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَى ، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَوْلَهُ : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) [يوسف : ١٠٦] .

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٤/ ٤٤٥ وفي إسناده (المبارك) وهو ابن فضالة أبو فضالة البصري قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٢٢٧ ؛ (صندوق يدلس ويسوى) . ومن طريق أبي عامر الحزاز عن الحسن بن عمران بنحوه رواه ابن حبان (١٤١١) والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) (المسند) ٤/ ١٥٤ وفي إسناده (خالد بن عبيد) وهو المعافري قال ابن حجر (تعجيل المنفعة) ص ١١٤ : (رجال حديثه موثقون) . والحاكم ٤/ ٢١٦ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) (المسند) ٤/ ١٥٦ عن عقبة بن عامر الجهني قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ١٠٣ : (رجال أحمد ثقات . اهـ) .

(٤) ذكره ابن كثير (التفسير) ٤/ ٥٥ معلقاً ، ولم يعزه لمخرجه من طريق حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض . . . نحوه ومع تعليق إسناده فيه (عاصم ابن أبي النجود) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٣٨٣ : (صندوق له أوهام ، وحديثه في الصحيحين مقرون . اهـ) .

□ فيه مسائل :

- **الأول :** التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .
- **الثانية :** أَنَّ الصحابي لو مات وهي عليه ما أَفْلَحَ ، فيه شاهدٌ لكلام الصحابة أَنَّ الشرك الأصغر أَكْبَرُ من الكبائر .
- **الثالثة :** أَنَّهُ لم يُعَذَّر بالجهالة .
- **الرابعة :** أَنَّهَا لا تنفع في العاجلة ، بل تضر لقوله : « لا تزيدك إِلَّا وهنًا » .
- **الخامسة :** الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .
- **السادسة :** التصريح بِأَنَّ من تعلَّق شيئًا وكلٍّ إليه .
- **السابعة :** التصريح بِأَنَّ من تعلَّق تيممة فقد أَشْرَكَ .
- **الثامنة :** أَنَّ تعليق الخيط من الحمى من ذلك .
- **التاسعة :** تلاوة حذيفة الآية دليل على أَنَّ الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .
- **العاشرة :** أَنَّ تعليق الودع عن العين من ذلك .
- **الحادية عشرة :** الدعاء على من تعلَّق تيممة أَنَّ الله لا يتم له ، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له . أي ترك الله له .

[التعليق:]

باب :

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب .

وتفصيل القول فيها : أَنَّهُ يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن لا يجعل منها سببًا إِلَّا ما ثبت أَنه سبب شرعًا أو قدرًا .

ثانيها : أن لا يعتمد العبد عليها ، بل يعتمد على مسببها ومقدرها ، مع

قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الأسبابَ مهما عَظُمَتْ وقويت فإنَّها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه ، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء : إِنْ شَاءَ أَقْبَى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربطَ المسببات بأسبابها والمعلولات بعلمها ، وَإِنْ شَاءَ غَيْرَهَا كَيْفَ يَشَاءُ لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمالَ قدرته ، وَأَنَّ التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده ، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب .

إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ فَمَنْ لَبَسَ الحلقةَ أَوْ الخيطَ أَوْ نحوهما قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله ، أَوْ دفعه قبل نزوله فقد أَشْرَكَ ، لِأَنَّهُ إِنْ اعتَقَدَ أَنَّهَا هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر .

وهو شرك في الربوبية حيث اعتقدَ شريكاً مع الله في الخلق والتدبير .

وشرك في العبودية حيث تألَّهُ لذلك وعلَّقَ به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه ، وَإِنْ اعتَقَدَ أَنَّ الله هو الدافع الرافع وحده ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء فقد جعلَ ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً ، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر .

أما الشرع فإنَّه ينهى عن ذلك أشدَّ النهي ، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة .

وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود ، ولا من الأدوات المباحة النافعة . وكذلك هو من جملة وسائل الشرك فإنَّه لا بدَّ أَنْ يتعلّق قلب متعلقها بها ، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه .

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه التي يتوسل بها إلى رضا الله وثوابه ، ولا من الأسباب القدريّة التي قد عَلِمَ أَوْ

جربَ نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقاً قلبه بها راجياً لنفعها،
فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده فإنَّه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما
ينافيه، وذلك أيضاً نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من
الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلُّق بالمخلوقين،
وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية
للعقول، المزكية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها والله أعلم.



باب

ما جاء في الرقي والتمايم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه : أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا أَنْ لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ ^(١) .

وعن ابن مسعود قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الرُّقْيَ وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّةَ شِرْكٌ» . رواه أحمد وأبو داود ^(٢) .

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً : من تعلق شيئاً وكل إليه . رواه أحمد والترمذي ^(٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب الجهاد باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٣/ ١٠٩٤) حديث رقم (٢٨٤٣) . ومسلم : كتاب اللباس والزينة باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (٣/ ١٦٧٢-١٦٧٣) حديث رقم (٢١١٥) .

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٨١) وأبو داود في كتاب الطب باب في تعليق التمايم (٩/ ٤) حديث رقم (٣٨٨٣) قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٣٦٣/٥ : (والراوي عن زينب مجهول . اهـ) وقد وصف عند الإمام أحمد وأبي داود بأنه (ابن أخي زينب) ، ووصف في (سنن ابن ماجه) ١١٦٧/٢ بأنه (ابن أخت زينب) .

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣١٠ و ٣١١) ، والترمذي (السنن) ٤/ ٤٠٣ (كتاب الطب) (باب ما جاء في كراهية التعليق) . حديث رقم (٢٠٧٢) وقال : (وحدث عبد الله بن عكيم إننا نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ وكان في زمن النبي ﷺ يقول : كتب إلينا رسول الله ﷺ) . وفي إسناده - أيضاً - (محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى) وقد ضعفه العلماء لسوء حفظه كما في (ميزان الاعتدال) ٣/ ٦١٤ .

وللحديث شاهد يتقوى به رواه النسائي (السنن) ٧/ ١١٢ من طريق أبي داود ثنا عنه عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً وفيه : «ومن تعلق شيئاً وكل إليه» . قال الذهبي في (ميزان الاعتدال) ٢/ ٣٧٨ : (هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه) . وهذا تضعيف لا يمنع من تقوية حديث عبد الله بن عكيم وترقيته لمرتبة الحسن لغيره . والله أعلم .

«التَّائِمُ»: شيءٌ يُعَلَّقُ على الأولاد يتقون به العَيْنَ، لكن إذا كان المُعَلَّقُ من القرآن فَرَحَّصَ فيه بعضُ السَّلَفِ، وبعضهم لم يرَحِّصْ فيه، ويجعله من المنهي عنه.

منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«الرَّقِي» : هي التي تسمى العزائم، وَحَصَّ منها الدليل ما خلا من الشَّرْكَ، فقد رَحَّصَ فيه رسول الله ﷺ من العَيْنِ والحَمَةِ.

و«التَّوَلَّه» : هي شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يحب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وروى أحمد عن رُوَيْفِعٍ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحِيتهُ، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا، أو استنجى برجيعِ دَابَّةٍ أو عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بريءٌ منه»^(١).

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ قال: مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً من إنسان كان كَعَذْلٍ رَقَبَةٍ. رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التَّائِمَ كُلَّها من القرآن وغير القرآن.

(١) (المسند) ١٠٨/٤ أوله : (كان أحدنا في زمان رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه . . . مطولاً وفي إسناده (ابن لهيعة) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/٤٤٤ : (صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرها، وله في مسلم بعض شيء مقرون). وليس هذا من روايتهما عنه، إلا أنه منجبر بمتابعة (المفضل بن فضالة) له عند أبي داود (السنن) ١/٣٤ (كتاب الطهارة) (باب ما ينهى عنه أن يستنجى به). حديث رقم (٣٦) وسكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ١/٣٦ وفي إسناده (عياش بن عباس القتباني) ولعل صوابه ما ذكره المزي (تهذيب الكمال) ٣/١٣٦٥ في ترجمة (المفضل بن فضالة بن عبيد المصري) أنه يروي عن (عبد الله بن عياش بن عباس القتباني). وللحديث طريق أخرى رواها النسائي (السنن) ٨/١٣٥ - ١٣٦ (كتاب الزينة) (باب عقد اللحية) عن حيوة بن شريح عن عياش بن عباس، وإسناده صحيح رجاله ثقات. والله أعلم.

□ فيه مسائل :

- **الأول** : تفسير الرقى والتائم .
- **الثانية** : تفسير التولة .
- **الثالثة** : أنَّ هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .
- **الرابعة** : أنَّ الرقية بالكلام الحق من العين والحة ليس من ذلك .
- **الخامسة** : أنَّ التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا ؟ .
- **السادسة** : أنَّ تعليق الأوتار على الدواب من العين من ذلك .
- **السابعة** : الوعيد الشديد على من علّق وترًا .
- **الثامنة** : فضل ثواب من قطع تيمة من إنسان .
- **التاسعة** : أنَّ كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدّم من الاختلاف ، لأنّ مراده أصحاب عبدالله بن مسعود .

[التعليق :

باب :

ما جاء في الرقى والتائم

أما التائم فهي : تعاليق تتعلّق بها قلوب متعلقها ، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط كما تقدّم .

فمنها : ما هو شرك أكبر كالتّي تشتمل على الاستغاثة بالشیاطين أو غيرهم من المخلوقين . فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك كما سيأتي إن شاء الله .

ومنها : ما هو محرم كالتّي فيها أسماء لا يفهم معناها لأنّها تجر إلى الشرك .

وأما التعاليق التي فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى

تركها لعدم ورودها عن الشارع ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأنَّ الغالب على متعلقها أنَّه لا يحترمها ويدخل بها المواضع القدرة.

أما الرقيُّ ففيها تفصيل :

فإنَّ كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنَّها مندوبة في حقِّ الراقي لأنَّها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حقِّ المرقى، إلاَّ أنَّه لا ينبغي له أن يتديء بطلبها، فإنَّ من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحدًا من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغي إذا سأل أحدًا أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه، بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التي لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلاَّ الكُمَّل من العباد.

وإنَّ كانت الرُّقية يُدعى بها غير الله ويُطلَّب الشفاء من غيره، فهذا هو الشرك الأكبر لأنَّه دُعاء واستغاثة بغير الله.

فافهم هذا التفصيل، وإيَّاكَ أن تحكم على الرقيِّ بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها.



باب

من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ) [النجم : ١٩-٢٣] .

عن أبي واقد الليثي قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفرٍ ، وللمشركين سُدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يُقال لها ذاتُ أنواطٍ ، فمررنا بسُدرةٍ ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبرُ إنها السُنن ، قلتُم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

(اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ [الأعراف : ١٣٨] .
لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . رواه الترمذي وصحَّحه ^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية النجم .
- الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .
- الثالثة : كونهم لم يفعلوا .
- الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يُجبه .
- الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا ، فغيرهم أولى بالجهل .

(١) (السنن) ٤/ ٤٧٥ (كتاب الفتن) (باب ما جاء لتركين سنن من كان قبلكم) . حديث رقم (٢١٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح . ولفظه (أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرَّ بشجرة يقال لها ذات أنواط) الحديث .

- السادسة : أَنَّ لَهُم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .
- السابعة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يعذرهم بل ردَّ عليهم بقوله : «الله أكبر إِنَّهَا السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم» . فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث .
- الثامنة : الأمر الكبير — وهو المقصود — أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى (اجعل لنا إلهًا) .
- التاسعة : أَنَّ نفى هذا من معنى «لا إله إلا الله» مع دقته وخفائه على أولئك .
- العاشرة : أَنَّهُ حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة .
- الحادية عشرة : أَنَّ الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا .
- الثانية عشرة : قولهم : «ونحن حدثاء عهدٍ بكُفْرٍ» فيه أَنَّ غيرهم لا يجهل ذلك .
- الثالثة عشرة : التذكير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .
- الرابعة عشرة : سدّ الذرائع .
- الخامسة عشرة : النهي عن التشبُّه بأهل الجاهلية .
- السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .
- السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : «إِنَّهَا السنن» .
- الثامنة عشرة : أَنَّ هذا علَم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .
- التاسعة عشرة : أَنَّ كل ما ذمَّ الله به اليهود والنصارى في القرآن أَنَّهُ لنا .
- العشرون : أَنَّهُ مقرر عندهم أَنَّ العبادات مبناهَا على الأمرِ ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر .
- أما : «مَنْ ربك» فواضح وأما «مَنْ نبيك» فمن إخباره بأنباء الغيب . وأما «ما دينك» فمن قولهم «اجعل لنا إلهًا» إلى آخره .

- **الحادية والعشرون:** أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ .
- **الثانية والعشرون :** أَنَّ الْمُتَنَقِّلَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ لِقَوْلِهِمْ : «وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكَفْرٍ» .

[[التهليل]] :

باب :

من تبرَّك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما

أَيِّ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْكِ وَمِنْ أَعْمَالِ الْمُشْرِكِينَ ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ التَّبَرُّكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَالْبَقَعِ وَالْمَشَاهِدِ وَغَيْرِهَا . فَإِنَّ هَذَا التَّبَرُّكَ غُلُوفٌ فِيهَا وَذَلِكَ يَتَدَرَّجُ بِهِ إِلَى دَعَائِهَا وَعِبَادَتِهَا ، وَهَذَا هُوَ الشَّرْكُ الْأَكْبَرُ كَمَا تَقَدَّمَ انْطِبَاقَ الْحَدِّ عَلَيْهِ ، وَهَذَا عَامٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَحَجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَقَعِ الْفَاضِلَةِ .

وَأَمَّا اسْتِلَامُ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَتَقْبِيلُهُ ، وَاسْتِلَامُ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ مِنَ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ فَهَذَا عِبَادَةٌ لِلَّهِ وَتَعْظِيمٌ لِلَّهِ وَخُضُوعٌ لِعَظَمَتِهِ ، فَهُوَ رُوحُ التَّعَبُّدِ .

فَهَذَا تَعْظِيمٌ لِلْخَالِقِ وَتَعَبُّدٌ لَهُ ، وَذَلِكَ تَعْظِيمٌ لِلْمَخْلُوقِ وَتَأَلُّهُ لَهُ .

فَالْفَرْقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ كَالْفَرْقِ بَيْنَ الدُّعَاءِ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ إِخْلَاصٌ وَتَوْحِيدٌ ، وَالدُّعَاءِ لِلْمَخْلُوقِ الَّذِي هُوَ شُرْكٌ وَتَنْدِيدٌ .



باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقوله الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَذِلُّكَ أَمْرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقوله: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [الكوثر: ٢].

عن علي رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحِدًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَآرَ الْأَرْضِ». رواه مسلم^(١).

وعن طارق بن شهاب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ». قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرَّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢). رواه أحمد.

(١) رواه مسلم: كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (١٥٦٧/٣) حديث رقم (١٩٧٨).

(٢) لم أقف عليه من حديث طارق بن شهاب، وقد وقفت عليه من حديث طارق بن شهاب عن سلمان رواه الإمام أحمد (الزهد) ص ١٥ - ١٦ ووقع في النسخة المطبوعة (عن سليمان) وهو تحريف، والصواب أنه (عن سلمان) وقد رواه أبو نعيم في (الحلية) ٢٠٣/١ في ترجمة (سلمان الفارسي) كلاهما من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن مسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: دخل رجل الجنة في ذباب... فذكره موقوفاً، وإسناده صحيح رجاله ثقات، وله طريقان آخران ذكرهما أبو نعيم معلقة ولم يسق ألفاظهما حيث قال عقب روايته: (رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله، ورواه جرير من - كذا - منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرشد عن سلمان نحوه). وهو وإن كان موقوفاً فلعله مما لا مجال للرأي فيه. والله أعلم.

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) .
- الثانية : تفسير (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَر) .
- الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .
- الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .
- الخامسة : لعن من آوى محدثاً ، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله ، فيلتجىء إلى من يحيره من ذلك .
- السادسة : لعن من غير منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض فتغيرها بتقديم أو تأخير .
- السابعة : الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم .
- الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .
- التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصاً من شرهم .
- العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .
- الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً لم يقل : «دخل النار في ذباب» .
- الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح : «الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك»^(١) .
- الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

(١) رواه البخاري . كتاب الرقاق ، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك (٢٣٨٠/٥) حديث رقم (٦١٢٣) .

[التعليق :

باب :

ما جاء في الذبح لغير الله

أي أنه شرك ، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله ، وإخلاص ذلك لوجهه ، كما هي صريحة بذلك في الصلاة ، فقد قرّن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه .

وإذا ثبت أنّ الذبح لله من أجلّ العبادات وأكبر الطاعات ، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام .

فإنّ حدّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده : (أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله) .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنّه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر .

فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء .

كما أنّ حدّ الشرك الأصغر هو : (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة) .

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر ، فإنّه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب ، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثّر اشتباهها والله المستعان .



باب

لا يُذبح لله بمكان يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى : (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) .

[التوبة : ١٠٨]

وعن ثابت بن الضحّاك رضي الله عنه قال : «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَّ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهليّة يُعْبَدُ؟» قالوا : لا قال : «فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟» . قالوا : لا فقال رسول الله ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» . رواه أبو داود وإسناده على شرطهما^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير قوله : (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) .
- الثانية : أَنَّ المَعْصِيَةَ قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة .
- الثالثة : رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .
- الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .
- الخامسة : أَنَّ تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .
- السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثنٌ من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .
- السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .
- الثامنة : أَنَّهُ لَا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لَأَنَّهُ نَذَرُ مَعْصِيَةٍ .

(١) (السنن) ٦٠٧/٣ (كتاب الإيمان والنذور) (باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر) حديث رقم (١٣١٣) قال الحافظ ابن حجر في (التلخيص الجبير) ١٩٨/٤ : (رواه أبو داود من حديث ثابت بن الضحّاك بسند صحيح . اهـ) .

• **التاسعة :** الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

• **العاشرة :** لا نذر في معصية .

• **الحادية عشرة :** لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

[[التعليق :]]

باب :

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

ما أحسن اتباع هذا الباب بالباب الذي قبله ، فالذي قبله من المقاصد وهذا من الوسائل ، ذاك من باب الشرك الأكبر ، وهذا من وسائل الشرك القريبة فإنَّ المكان الذي يذبح فيه المشركون لأهنتهم تقرباً إليها وشركاً بالله قد صار مشعراً من مشاعر الشرك ، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها الله ، فقد تشبَّه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم ، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم .

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعاداً للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم ، حتى إنَّه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبُّه المحذور .



باب

من الشرك : النذر لغير الله

وقول الله تعالى :

(يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان : ٧] .

وقوله :

(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) [البقرة : ٢٧٠] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « من نذرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ، وَمَنْ نذرَ أَنْ يَعصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعصِهِ » .^(١)

□ فيه مسائل :

- **الأولى :** وجوب الوفاء بالنذر .
- **الثانية :** إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك .
- **الثالثة :** أَنَّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .



(١) رواه البخاري : كتاب الأيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (٢٤٦٤/٦) حديث رقم (٦٣٢٢) . ورواه في موضع آخر - أيضاً - (٢٤٦٣/٦) (كتاب الإيمان والنذور) (باب النذر في الطاعة) حديث رقم (٦٣١٨) .

باب

من الشرك: الاستعانة بغير الله

وقول الله تعالى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)

[الجن : ٦]

وعن خَوْلَةَ بنتِ حَكِيم رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» . رواه مسلم (١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية الجن .
- الثانية : كونه من الشرك .
- الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأنَّ العلماء يستدلون به على أنَّ كلمات الله غير مخلوقة ، قالوا : لأنَّ الاستعانة بالمخلوق شرك .
- الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .
- الخامسة : أنَّ كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع ، لا يدل على أنه ليس من الشرك .



(١) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠ - ٢٠٨١) حديث رقم (٢٧٠٨) .

باب

من الشرك: أن يستفيت بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى : (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [يونس : ١٠٧، ١٠٦].

وقوله : (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [العنكبوت : ١٧].

وقوله : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) . [الأحقاف : ٥-٦]

وقوله : (أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَظِيمٍ) [النمل : ٦٢].

وروى الطبراني بإسناده : أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ : «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ»^(١).

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في (المعجم الكبير) عن عبادة بن الصامت ولم أقف على مسنده في المطبوع من (المعجم الكبير) ، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩) : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن هيمه وهو حسن الحديث ، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق ، وهو في الأدب في باب القيام . اهـ).

□ فيه مسائل :

- الأولى : أَنَّ عطف الدُّعاء على الاستغاثة من عطفِ العام على الخاص .
- الثانية : تفسير قوله : (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ) .
- الثالثة : أَنَّ هذا هو الشرك الأكبر .
- الرابعة : أَنَّ أَصْلَحَ الناس لو يفعلهُ إرضاءً لغيره صار من الظالمين .
- الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .
- السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدُّنيا مع كونه كفراً .
- السابعة : تفسير الآية الثالثة^(١) .
- الثامنة : أَنَّ طلب الرزق لا ينبغي إِلَّا من الله ، كما أَنَّ الجنة لا تطلب إِلَّا منه .
- التاسعة : تفسير الآية الرابعة .
- العاشرة : أَنَّهُ لَا أَضْلَ مَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ .
- الحادية عشرة : أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دَعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ .
- الثانية عشرة : أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ الْمَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعِدَاوَتِهِ لَهُ .
- الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .
- الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .
- الخامسة عشرة : أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضْلَ النَّاسِ .
- السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة .
- السابعة عشرة : الأمر العجيب ، وهو إقرار عبدة الأوثان بأنَّه لا يجب المضطر إِلَّا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدِّين .
- الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله .

(١) أي الآية (١٧) من سورة العنكبوت .

[العماليق:]

باب :

من الشرك: النذر لغير الله

باب :

من الشرك: الاستعاذة بغير الله

باب :

من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

متى فهمت الضابط السابق في حدِّ الشرك الأكبر وهو أن (من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك).

فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي وإلى المصنف بينها.

فإنَّ النذر عبادة مدح الله الموفين به، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة. فإنَّ العبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة) والنذر من ذلك.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة، أنَّ الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضاً من العقل، فإنَّ أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم.

باب :

قول الله تعالى

(أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ) [الأعراف : ١٩١ ، ١٩١] .

وقوله : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُ لَكُمْ مِنْ شَجَرٍ) [فاطر : ١٣ ، ١٤] .

وفي الصحيح^(١) عن أنس رضي الله عنه قال : شَجَّ النبي ﷺ يوم أُحُدٍ وكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . فقال : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوا نَبِيَّهُمْ ؟ » فنزلت :

(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران : ١٢٨] .

وفيه^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ : «اللَّهُمَّ الْعَنْ فَلَانًا وَفَلَانًا» . بعدما يقول : «سَمِعَ اللَّهُ لَنْ حَمْدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) الآية .

(١) رواه البخاري معلقاً : كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) . (٤/ ١٤٩٣) . ورواه مسلم : كتاب الجهاد والسير باب غزوة أُحُد (٣/ ١٤١٧) حديث رقم (١٧٩١) . ولفظه : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله ؟ فأنزل الله . . . الحديث .

(٢) رواه البخاري : كتاب المغازي باب قوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) (٤/ ١٤٩٣) . (١٤٩٤) حديث رقم (٣٨٤٢) .

وفي رواية^(١): «يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثَ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)».

وفيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [الشعراء: ٢١٤]. فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ: سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ، لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً»^(٢).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- الأولى : تفسير الآيتين .
- الثانية : قصة أُحُدٍ .
- الثالثة : قنوتُ سيد المرسلين وخلفه ساداتُ الأولياءِ يؤمُّنونَ في الصلاة .
- الرابعة : أَنَّ المدعُوَّ عليهم كُفَّارٌ .
- الخامسة : أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ، مِنْهَا شَجَّهَهُمْ نَبِيُّهُمْ وَحَرَصَهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَمِنْهَا التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلِ مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِهِمْ .
- السادسة : أُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) .
- السابعة : قوله : (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ) فتاب عليهم فآمنوا .

(١) رواه البخاري: مع فتح الباري ٧/ ٣٦٥ حديث رقم (٤٠٧٠) كتاب المغازي باب قوله تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) وهو مرسل لأنه من رواية سالم بن عبدالله بن عمر وقد وصلها أحمد (٩٣/٢) والترمذي: كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران (٥/ ٢١٢) حديث رقم (٣٠٠٤). وقال: هذا حديث حسن غريب. اهـ.

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة الشعراء باب قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨) حديث رقم (٤٤٩٣). ومسلم: كتاب الإيمان باب قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (١/ ١٩٢ - ١٩٣) حديث رقم (٢٠٦).

- **الثامنة :** القنوت في النوازل .
- **التاسعة :** تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .
- **العاشر :** لعن المعين في القنوت .
- **الحادية عشرة :** قصته ﷺ لما أنزل عليه : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) .
- **الثانية عشرة :** جده ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن .
- **الثالثة عشرة :** قوله للأبعد والأقرب : « لا أُغني عنك من الله شيئاً » ، حتى قال : « يا فاطمة بنت محمد لا أُغني عنك من الله شيئاً » .
- فإذا صرَّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين .

[[التلخيص :]]

باب :

قول الله تعالى : (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) .

هذا شروع في براهين التوحيد وأدلتها ، فالتوحيد له من البراهين العقلية والعقلية ما ليس لغيره .

فتقدّم أن التوحيدين : توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها ، فالتفرد بالخلق والتدبير ، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحقّ العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله ، فإن جميع ما يُعبد من دون الله من ملك وبشر وشجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله ، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئاً وهم

يُخْلَقُونَ ، ولا يملكون ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق ، المدبّر للأُمُور كلها ، الضار النافع ، المعطي المانع ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، وإليه يرجع كل شيء ، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء .

فأيُّ بُرْهانٍ أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو دليل عقلي فطري كما أنّهُ دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله وأنّه الحق ، وعلى بطلان الشرك .

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمّسهم به رحماً فكيف بغيره؟ فتباً لمن أشرك بالله وسأوى به أحداً من المخلوقين ، لقد سُلِبَ عقله بعدما سُلِبَ دينه .

فنعوتُ الباري تعالى وصفاتُ عظمتِهِ وتوحيده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنّه لا يستحقُّ العبادة إلّا هو .

وكذلك صفات المخلوقات كلها ، وما هي عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شؤونها ، وأنّه ليس لها من الكمال ، إلّا ما أعطاهَا ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها .

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرتّه هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده ، وإخلاص الدين له والثناء عليه ، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانِه وانصرف تعلُّقه بالمخلوقين خوفاً ورجاءً وطمعاً ، والله أعلم .



باب قول الله تعالى

(حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)

[سبأ : ٢٣]

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَىٰ اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفَذُهُمْ ذَلِكَ، (حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرَقُّ السَّمْعِ، وَمُسْتَرَقُّ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفُهُ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ، فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مِنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَىٰ مِنْ تَحْتِهِ، حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»^(١).

وعن النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ، وَتَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، - أَوْ قَالَ: رَعْدَةً - شَدِيدَةً خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيْلُ، فَيَكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جَبْرِيْلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلِّهَا مَرًّا بِسَمَاءِ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة سبأ باب: (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) (٤/ ١٨٠٤) حديث رقم (٤٥٢٢).

يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل^(١).

□ فيه مسائل:

• الأولى: تفسير الآية.

• الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

• الثالثة: تفسير قوله: (قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ).

• الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

• الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

• السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

• السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه.

• الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

• التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله.

• العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

• الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

• الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

(١) رواه ابن أبي عاصم (السنة) ٢٢٦/١ - ٢٢٧ حديث رقم (٥١٥) من طريق نعيم بن حماد ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان الكلابي . . . الحديث بنحوه وإسناده ضعيف لأجل الوليد بن مسلم قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٣٣٦/٢: (ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية). ونص بعض العلماء على أنه ليس لهذا الحديث أصل قال الذهبي (الميزان) ٢٦٨/٤: (قال أبو زرعة الدمشقي عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بالوحي. فقال دحيم: لا أصل له. اهـ).

- **الثالثة عشرة :** إرسال الشهب .
- **الرابعة عشرة :** أنه تارةً يدركه الشهاب قبل أن يلقيها وتارةً يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه .
- **الخامسة عشرة :** كون الكاهن يصدّق بعض الأحيان .
- **السادسة عشرة :** كونه يكذبُ معها مائة كذبة .
- **السابعة عشرة :** أنه لم يصدّق كذبه إلاّ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .
- **الثامنة عشرة :** قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدةٍ ولا يعتبرون بهائة ؟ .
- **التاسعة عشرة :** كونهم يتلقّى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .
- **العشرون :** إثبات الصفاتِ خلافاً للأشعرية المعطلة .
- **الحادية والعشرون :** التصريح بأنّ تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عزّ وجلّ .
- **الثانية والعشرون :** أنّهم يخروّن لله سجداً .

[[التعليق :]]

باب :

قول الله تعالى: (حَقَّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)

وهذا أيضاً برهان عظيم آخر على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وهو ذكر النصوص الدالة على كبرياء الربّ وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تبدّى لهم بعض عظمته ومجده، فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمن كان

هذا شأنه فهو الربّ الذي لا يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومن سواه ليس له من هذا الحقّ شيء. فكما أنّ الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه.



باب الشفاعة

وقول الله عز وجل : (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ) [الأنعام : ٥١] .

وقوله : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا) [الزمر : ٤٤] .

وقوله : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة : ٢٢٥] .

وقوله : (﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾) [النجم : ٢٦] .

وقوله : (قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) [سبا : ٢٢ ، ٢٣] .

قال أبو العباس ^(١) : نفى الله عما سواه كل ما يتعلّق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره مُلكٌ أو قسْطٌ منه أو يكون عوناً لله ولم يبقَ إِلَّا الشَّفاعةُ ، فبينَ أنها لا تنفعُ إِلَّا لِمَنْ أذنَ له الرَّبُّ كما قال : (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَى) [الأنبياء : ٢٨] .

فهذه الشفاعةُ التي يظنُّها المشركون هي مُنتَفِيةٌ يومَ القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبرَ النبي ﷺ : « أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : « ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَسَلْ تُعْطَى ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ » ^(٢) .

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

(٢) جزء من حديث الشفاعة الطويل . رواه البخاري : كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) (٣ / ١٢١٥ - ١٢١٦) حديث رقم (٣١٦٢) . ومسلم : كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١ / ١٨٤ ، ١٨٦) حديث رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال أبو هريرة له عليه السلام: من أسعدُ الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»^(١). فتلک الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بين النبي عليه السلام أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

□ فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الآيات.
- الثانية: صفة الشفاعة المنفية.
- الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.
- الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود.
- الخامسة: صفة ما يفعله عليه السلام أنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فإذا أذن له شفع.

- السادسة: من أسعد الناس بها؟
- السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.
- الثامنة: بيان حقيقتها.

[التمهيد:]

باب:

الشفاعة

إنما ذكر المصنف الشفاعة في تضاعيف هذه الأبواب لأنَّ المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم مع علمنا أنَّهم مخلوقون ومملكون، ولكن حيث إنَّ لهم عند الله جاهاً عظيماً ومقاماتٍ عاليةً، ندعوهم ليقربونا إلى الله زُلْفَى وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرَّب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه الله العظيم ملك الملوك الذي يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

فأبطل الله هذا الزعم وبيَّن أنَّ الشفاعة كلها له، كما أنَّ الملُك كله له، وأنَّه لا يشفع عنده أحد إلاَّ بإذنه، ولا يأذن إلاَّ لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى إلاَّ توحيده وإخلاص العمل له.

فبيَّن أنَّ المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبيَّن أنَّ الشفاعة المثبتة التي تقع بإذنه إنَّما هي الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنَّها كلها منه، رحمة منه وكرامة للشافع، ورحمة منه وعفواً عن المشفوع له، وأنَّه هو المحمود عليها في الحقيقة، وهو الذي أذن لمحمد ﷺ فيها وأنَّاله المقام المحمود.

فهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة في تفصيل القول في الشفاعة.

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقي الدين في هذا الموضع وهو كافٍ شافٍ.

فالمقصود في هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بألهتهم، وأنَّه ليس لها من الملك شيء، لا استقلالاً ولا مشاركةً ولا معاونَةً ولا مظاهرةً ولا من الشفاعة شيء. وإنَّما ذلك كله لله وحده، فتعيَّن أنَّ يكون المعبود وحده.

باب

قول الله تعالى

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص: ٥٦].

في الصحيح^(١) عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له: «يا عم: قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْه عنك»، فأنزل الله عز وجل: (مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) [التوبة: ١١٣].

وأنزل في أبي طالب:

(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) [القصص: ٥٦].

□ فيه مسائل:

- الأولى: تفسير (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ).
 - الثانية: تفسير (مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ).
 - الثالثة: - وهي المسألة الكبيرة - : تفسير قوله: «قل لا إله إلا الله».
- بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير تفسير سورة القصص باب «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» (١٧٨٨/٤ - ١٧٨٩) حديث رقم (٤٤٩٤) ومسلم: كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة... (٥٤/١) حديث رقم (٢٤).

- **الرابعة :** أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مَرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ : « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقَبَّحَ اللَّهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ .
- **الخامسة :** جِدَّهُ ﷺ وَمِبَالِغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِهِ .
- **السادسة :** الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَأَسْلَافِهِ .
- **السابعة :** كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهُ بَلْ نُهِىَ عَنْ ذَلِكَ .
- **الثامنة :** مُضْرَةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الْإِنْسَانِ .
- **التاسعة :** مُضْرَةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ .
- **العاشرة :** الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ لاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ .
- **الحادية عشرة :** الشَّاهِدُ لَكُونِ الْأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ .
- **الثانية عشرة :** التَّأْمُلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ لِأَنَّ الْقِصَّةَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا مَعَ مِبَالِغَتِهِ ﷺ وَتَكَرُّرِهِ ، فَلَأَجَلَ عَظَمَتِهَا وَوَضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا .

[العملية :

باب :

قول الله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ)

وهذا الباب أيضاً نظير الباب الذي قبله ، وذلك أَنَّهُ إِذَا كَانَ ﷺ هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَاهاً وَأَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً ، لَا يَقْدِرُ عَلَى هِدَايَةِ مَنْ أَحَبَّ هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ وَإِنَّمَا الْهِدَايَةُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِدَايَةِ الْقُلُوبِ كَمَا تَفَرَّدَ بِخَلْقِ الْمَخْلُوقَاتِ فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . [الشورى : ٥٢] .

فالمراد بالهداية هنا : هداية البيان . وهو ﷺ المبلغ عن الله وحيه الذي اهتدى به الخلق .

باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم

هو الغلو في الصالحين

وقول الله - عز وجل - : (يَتَّاهِلَ الْكَاتِبُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) [النساء : ١٧١] .

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى :

(وَقَالُوا لَا نَذَرْنَا إِلَهُتَكُمْ وَلَا نَذَرْنَا وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَعْقُوتَ وَيَعْقُوقَ وَنَسْرًا) [نوح : ٢٣] .

قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ولم تُعْبَدْ حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم ، عُبِدَتْ» (١) .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلهم ثم طَالَ عليهم الأمد فعبدوهم (٢) .

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطْرُونِي كما أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ . فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » . أَخْرَجَاهُ (٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة نوح باب : (وَلَا نَذَرْنَا وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَعْقُوتَ وَيَعْقُوقَ) . حديث رقم (١٨٧٣ / ٤) . (٤٦٣٦) .

(٢) إغاثة اللفهان (١ / ١٨٤) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا) (١٢٧١ / ٣) حديث رقم (٣٢٦١) ولم يروه مسلم .

وقال: قال رسول الله ﷺ: «يَاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ»^(١).

ومسلم^(٢) عن ابن مسعود أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ». قالها ثلاثاً.

□ فيه مسائل :

• الأولى : أَنَّ مِنْ فَهَمَ هَذَا الْبَابِ وَبَيَانِ بَعْدِهِ تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَقْلِيهِهِ لِلْقُلُوبِ الْعَجَبَ.

• الثانية : معرفة أول شركٍ حَدَثَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَنَّهُ بِشْبَهَةِ الصَّالِحِينَ.

• الثالثة : أول شيءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا سَبَّبَ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُمْ.

• الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردّها.

• الخامسة : أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ مَزْجُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

فالأول : محبة الصالحين.

والثاني : فعل أناسٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ شَيْئاً أَرَادُوا بِهِ خَيْراً، فَظَنُّوا مِنْ بَعْدِهِمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

• السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح.

• السابعة : جِبَلَةُ الْآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الْحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ.

• الثامنة : فيه شاهدٌ لِمَا نَقَلَ عَنِ السَّلَفِ أَنَّ الْبِدْعَ سَبَبُ الْكُفْرِ.

(١) رواه النسائي في (السنن) ٢٦٨/٥ (كتاب مناسك الحج) (باب التقاط الحصى) وابن ماجه في

(السنن) ١٠٠٨/٢ (كتاب المناسك) (باب قدر حصى الرمي) حديث رقم (٣٠٢٩) والإمام

أحمد في (المسند) ٢١٥/١ و ٣٤٧ ثلاثتهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال شيخ

الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ١٠٦ : (هذا إسناد صحيح على شرط مسلم . اهـ).

(٢) رواه مسلم : كتاب العلم باب هلك المتنطعون (٢٠٥٥/٤) حديث رقم (٢٦٧٠).

- **التاسعة :** معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .
 - **العاشرة :** معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه .
 - **الحادية عشرة :** مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .
 - **الثانية عشرة :** معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها .
 - **الثالثة عشرة :** معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .
 - **الرابعة عشرة :** - وهي أعجب وأعجب - قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أنَّ فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أنَّ ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال .
 - **الخامسة عشرة :** التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .
 - **السادسة عشرة :** ظنهم أنَّ العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .
 - **السابعة عشرة :** البيان العظيم في قوله : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » . فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين .
 - **الثامنة عشرة :** نصيحته إيانا بهلاك المتنتعين .
 - **التاسعة عشرة :** التصريح بأنها لم تُعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده .
 - **العشرون :** أنَّ سبب فقد العلم موت العلماء .
- [العمليج :]

باب :

ما جاء أنَّ سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

والغلو هو مجاوزة الحدِّ بأنَّ يُجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء ، فإنَّ حقَّ الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق والغنى المطلق

والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحقّ العبادة والتأله أحدٌ سواه .
فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيباً من هذه الأشياء فقد
ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك . ومن رفع أحداً من الصالحين فوق
منزلته التي أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين والناس في
معاملة الصالحين ثلاثة أقسام :

* أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ، ولا يقومون بحقوقهم من الحب
والموالة لهم والتوقير والتبجيل .

* وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله بها .

* وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ، ويقومون بحقوقهم الحقيقية ،
ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم ، وادّعاء عصمتهم ، والصالحون أيضاً يتبرؤون من
أن يدّعوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصة ، كما قال الله عن عيسى عليه السلام :
(سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) [المائدة : ١١٦] .

* واعلم أن الحقوق ثلاثة :

حقٌّ خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك
له ، والرغبة والإناابة إليه حباً وخوفاً ورجاءً .

وحقٌّ خاص للرسل وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة .

وحقٌّ مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة
رسله ، ولكن هذه لله أصلاً وللرسل تبعاً لحقّ الله .

فأهل الحقّ يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة ، فيقومون بعبودية الله
وإخلاص الدّين له ، ويقومون بحقّ رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم
ومراتبهم . والله أعلم .

باب

ما جاء في التفليظ فيمن عبد الله عند

قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ - أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ - بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(١). فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الْفَتْنَتَيْنِ: فَتْنَةُ الْقُبُورِ وَفْتْنَةُ التَّمَاثِيلِ.

ولهما^(٢) عنها قالت: لما نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خِمِصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِرَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. أَخْرَجَاهُ.

ولمسلم عن جَنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا

(١) رواه البخاري: كتاب الصلاة باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (١٦٥/١) حديث رقم (٤١٧). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٥ - ٣٧٦) حديث رقم (٥٢٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة باب الصلاة في البيعة (١/١٦٨) حديث رقم (٤٢٥). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٧) حديث رقم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس.

تتخذوا القبور مساجد، فَإِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(١).

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ .
وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يُبَيَّنْ مَسْجِدٌ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا : خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ
مَسْجِدًا . فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيُنْوَ حَوْلَ قَبْرِ مَسْجِدًا وَكُلِّ مَوْضِعٍ قُصِدَتْ
الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتَّخَذَ مَسْجِدًا ، بَلْ كُلِّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا كَمَا قَالَ
ﷺ : «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(٢).

وَلَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا : «إِنَّ مِنْ شَرِّ رِجَالِ
النَّاسِ مَنْ تُذَكِّرُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» . وَرَوَاهُ
أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ^(٣).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأول :** ما ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللَّهُ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ
صَالِحٍ وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الْفَاعِلِ .
- **الثانية :** النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك .
- **الثالثة :** العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك . كيف يَبَيِّنُ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا ، ثُمَّ قَبْلَ
مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ .

(١) رواه مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ
الصور فيها (١/ ٣٧٧ ، ٣٧٨) حديث رقم (٥٣٢) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»
(١٦٨ / ١) حديث رقم (٤٢٧) ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، (١ / ٣٧٠ - ٣٧١)
حديث رقم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

(٣) (المسند) ١ / ٤٣٥ وابن حبان كما في (موارد الظمان) ص ١٠٤ حديث رقم (٣٤٠) و (٣٤١) ولم
يسق لفظ الطريق الثاني ، قال ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم) ٢ / ٦٧٤ : (وروى الإمام
أحمد في مسنده بإسناد جيد عن عبد الله بن مسعود . . . الحديث) .

- **الرابعة :** نفيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.
- **الخامسة :** أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.
- **السادسة :** لعنه إياهم على ذلك .
- **السابعة :** أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .
- **الثامنة :** العلة في عدم إبراز قبره .
- **التاسعة :** في معنى اتخاذها مسجداً .
- **العاشر :** أنه قرّن بين من اتخذها مسجداً ، وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .
- **الحادية عشرة :** ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الردّ على الطائفتين اللتين هما أشرُّ أهل البدع ، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهما الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .
- **الثانية عشرة :** ما بُلي به ﷺ من شدة النزاع .
- **الثالثة عشرة :** ما أُكِّرم به من الخلّة .
- **الرابعة عشرة :** التصريح بأنّها أعلى من المحبّة .
- **الخامسة عشرة :** التصريح بأنّ الصديق أفضل الصحابة .
- **السادسة عشرة :** الإشارة إلى خلافته .



باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها

أوثاناً تُعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

ولابن جرير^(٢) بسنده عن سُفيان عن منصور عن مجاهد:

(أَفْرَءَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعَزَى) [النجم: ١٩].

قال: كان يَلْتُمُ لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلْتُمُ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ». رواه أهل السنن^(٤).

(١) (الموطأ - مع تنوير الحوالك) ١/ ١٨٥ - ١٨٦ (جامع الصلاة) مرسلًا.

(٢) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٢٧/ ٣٥.

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير باب (أَفْرَءَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعَزَى)، (٤/ ١٨٤١) حديث رقم (٤٥٧٨).

(٤) رواه أبو داود (السنن) ٣/ ٥٥٨ (كتاب الجنائز) (باب في زيارة النساء القبور) حديث رقم ٣٢٣٦.

والترمذي (السنن) ٢/ ١٣٦ - ١٣٧ (كتاب الصلاة) (باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً). حديث رقم (٣٢٠) وقال: حديث حسن. اهـ. وتعقبه المنذري في مختصر سنن أبي داود ٤/ ٣٤٩ بقوله: (وفيما قاله نظر). ثم حكى أقوال الأئمة في تضعيف أبي صالح باذام - ويقال باذان - مولى أم هانئ بنت أبي طالب. وقال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١/ ٩٣ في ترجمته: (ضعيف مدلس). والحديث رواه - أيضاً - النسائي (السنن) ٤/ ٩٤ - ٩٥ (كتاب الجنائز) (بالتعليق في اتخاذ السرج على القبور) وابن ماجه (السنن) ١/ ٥٠٢ (كتاب الجنائز) (باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور) حديث ١٥٧٥ دون قوله (والمُتَخَذِينَ...) من طريق باذام.

وقال الألباني (قد جاء غالب الحديث من طرق أخرى: فلعن زائرات القبور رواه ابن ماجه ولعن المُتَخَذِينَ عَلَى الْقُبُورِ الْمَسَاجِدَ مُتَوَاتِرَ عَنْهُ ﷺ). (سلسلة الأحاديث الضعيفة) ١/ ٢٥٩ حديث رقم

□ فيه مسائل :

- الأول : تفسير الأوثان .
- الثانية : تفسير العبادة .
- الثالثة : أنه ﷺ لم يستعذ إلا بما يخاف وقوعه .
- الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .
- الخامسة : ذكر شدة الغضب من الله .
- السادسة : — وهي من أهمها — صفة معرفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان .
- السابعة : معرفة أنه قبر رَجُلٍ صالح .
- الثامنة : أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية .
- التاسعة : لعنه زوارات القبور .
- العاشرة : لعنه من أسرجها .

[[العمليق :]]

باب :

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

باب :

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبَدُ من دون الله

ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يُفَعَل عند قبور الصالحين وغيرهم .

وذلك أن ما يُفَعَل عندها نوعان : مشروع وممنوع .

أما المشروع فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شدّ رحل ، يزورها المسلم متبوعاً للسنة فيدعو لأهلها عموماً ولأقاربه ومعارفه خصوصاً فيكون محسناً إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم ،

ومحسنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاعتناظ .

أما الممنوع فإنه نوعان :

أحدهما : محرّم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها ،
والصلاة عندها ، وكإسراجها والبناء عليها ، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة
العبادة .

والنوع الثاني : شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب
الحوائج الدنيوية والأخروية منهم ، فهذا شرك أكبر ، وهو عين ما يفعله عبّاد
الأصنام مع أصنامهم .

ولا فرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل
مطالبه ، أو متوسطون إلى الله ، فإنّ المشركين يقولون :

(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) (الزمر : ٣) . (وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا
عِنْدَ اللَّهِ) (يونس : ١٨) .

فمن زعم أنّه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنّهم مستقلون بالنفع
ودفع الضرر ، وأنّ من اعتقد أنّ الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من
دعاهم واستغاث بهم [لم] يكفر . من زعم ذلك فقد كذّب ما جاء به الكتاب
والسنة ، وأجمعت عليه الأمة من أنّ من دعا غير الله فهو مُشركٌ كافرٌ في الحالين
المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين .

وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام . فعليك بهذا التفصيل الذي
يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما
حصل ، ولم ينبج من فتنته إلّا من عرف الحقّ واتبعه .



باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

[التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قברי عيداً ، وصلُّوا عليَّ ، فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » . رواه أبو داود بإسناد حسن ^(١) . ورواته ثقات .

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه : أنَّه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخلُ فيها فيدعو فنهاه ، وقال : ألا أُحدِّثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قברי عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلُّوا عليَّ فإنَّ تسليمكم يبلغني حيث كنتم » . رواه في المختارة ^(٢) .

(١) (السنن) ٥٣٤ / ٢ (كتاب المناسك) (باب في زيارة القبور) حديث رقم ٢٠٤٢ قال شيخ الإسلام ابن تيمية (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٣٢١ عقب ذكره للحديث بإسناد أبي داود : (وهذا إسناد حسن ، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالک فيه لين لا يقدح في حديثه) وصحح النووي إسناده في (الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ) ص ١٠٦ ، وفي تصحيح إسناده نظر ، لأن فيه (عبد الله بن نافع) وهو ابن أبي نافع الصائغ قال فيه الحافظ ابن حجر (تقريب التهذيب) ٥٥٦ / ١ : (ثقة صحيح الكتاب وفي حفظه لين) .

(٢) (الأحاديث المختارة) للضياء المقدس ٤٩ / ٢ حديث رقم ٤٢٨ دون قوله (وصلُّوا عليَّ ...) وفي إسناده (علي بن عمر) وهو ابن علي بن الحسين قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٤١ / ٢ : (مستور) . ونسبه في المطبوع (علي بن عمر بن الحسين وجاء في أصله (تهذيب الكمال) ٩٨٦ / ٢ (علي بن عمر بن علي بن الحسين) .

□ فيه مسائل :

- الأول : تفسير آية براءة .
- الثانية : إبعاده أُمَّته عن هذا الحمى غاية البعد .
- الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .
- الرابعة : نهي عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أنَّ زيارته من أفضل الأعمال .
- الخامسة : نهي عن الإكثار من الزيارة .
- السادسة : حثُّه على النافلة في البيت .
- السابعة : أنَّه متقرر عندهم أنَّه لا يصلي في المقبرة .
- الثامنة : تعليل ذلك بأنَّ صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإنَّ بُعداً ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .
- التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أُمَّته في الصلاة والسلام عليه .

[[التحليل :]]

باب :

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميهِ ويغذيهِ ، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار تعلُّق القلب بالله رغبة ورهبة ، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك ، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلُّق بهم بوجه من الوجوه ، أو الغلو في أحد منهم ، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصاً حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده .

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين ، ونهى عن التشبُّه بالمشرِّكين لأنَّه يدعو إلى الميل إليهم .

ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد .

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك ، وذلك رحمةً بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكملها ، لتكمل لهم السعادة والفلاح .

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة .



باب

ما جاء أَنَّ بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالْطُّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا) .

[النساء : ٥١]

وقوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطُّغُوتَ) [المائدة : ٦٠] .

وقوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) .

[الكهف : ٢١]

عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قال : «فَمَنْ ؟» . أَخْرَجَاهُ ^(١) .

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مَلِكُهَا مَا زَوَىٰ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ : الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بَسَنَةٌ بِعَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لَأُمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ بِعَامَةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ : «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» (٢٦٦٩/٦) حديث رقم (٦٨٨٩) . ومسلم : كتاب العلم، باب اتباع سَنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (٢٠٥٤/٤) حديث رقم (٢٦٦٩) .

بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً»^(١).

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلِّين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحقَ حيٌّ من أمتي بالمشرِّكين، وحتى تعبُدَ فتأمَّ من أمتي الأوثان، وإنَّه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعمُ أنَّه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين، لانيِّ بعدي، ولا تزال طائفةٌ من أمتي على الحقِّ منصورَةً، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله تبارك وتعالى»^(٢).

□ فيه مسائل :

- الأول : تفسير آية النساء .
- الثانية : تفسير آية المائدة .
- الثالثة : تفسير آية الكهف .
- الرابعة : — وهي أهمُّها — : ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع؟ هو اعتقاد قلب؟ أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ .
- الخامسة : قولهم : إنَّ الكفَّار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .
- السادسة : — وهي المقصود بالترجمة — أنَّ هذا لا بدَّ أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد .

(١) رواه مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩) .

(٢) هذه الزيادة رواها من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أبو داود : (السنن) ٤/ ٤٥١ - ٤٥٢ (باب في ذكر الفتن ودلائلها) حديث رقم (٤٢٥٢) وابن ماجه : (السنن) ٢/ ١٣٠٤ (كتاب الفتن) (باب ما يكون في الفتن) حديث رقم (٣٩٥٢) والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٢٧٨ و٢٨٤ . والحديث سكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٦/ ١٣٦ - ١٣٨ .

- **السابعة :** تصريحه بوقوعها : أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .
- **الثامنة :** العجب العجاب : خروج من يدَّعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنَّه من هذه الأمة ، وأنَّ الرسول حق ، وأنَّ القرآن حق ، وفيه أنَّ محمدًا خاتمُ النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة .
- **التاسعة :** البشارة بأنَّ الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .
- **العاشرة :** الآية العظمى : أنَّهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم .
- **الحادية عشرة :** أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة .
- **الثانية عشرة :** ما فيه من الآيات العظيمة منها :
 وإخباره بأنَّ الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبرَ بمعنى ذلك فوق كما أخبرَ بخلاف الجنوب والشمال .
 وإخباره بأنَّه أُعطي الكنزين .
 وإخباره بإجابة دعوته لأُمَّته في الاثنتين .
 وإخباره بأنه مُنع الثالثة .
 وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع .
 وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً ، وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أُمَّته من الأئمة المضلين .
 وإخباره بظهور المتبئين في هذه الأمة .
 وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة .
 وكل هذا وقع كما أخبرَ مع أنَّ كل واحدةٍ منها من أبعد ما يكون في العقول .

• الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

• الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

[التعليق :

باب :

ما جاء أنَّ بعض هذه الأئمة يعبدُ الأوثان

مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه ، وأنَّه أمرٌ واقعٌ في هذه الأئمة لا محالة ، والرد على من زعم أنَّ من قال : لا إله إلاَّ الله ، وتسمَّى بالإسلام أنَّه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم ، وسمَّى ذلك توسُّلاً لا عبادة فإنَّ هذا باطل .

فإنَّ الوثن اسم جامع لكل ما عُبدَ من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع — وهو العبادة — فإنَّها حقُّ الله وحده ، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذهُ وثناً وخرَجَ بذلك عن الدين ، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام ، فكم انتسبَ إلى الإسلام من مشركٍ وملحدٍ وكافرٍ ومنافقٍ والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسماء والألفاظ التي لا حقيقة لها .



باب

ما جاء في السحر

وقول الله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ) .

[البقرة : ١٠٢]

وقوله : (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) [النساء : ٥١] .

قال عمر : الجبّ : السحر ، والطّاغوت : الشيطان^(١) .

وقال جابر : « الطّواغيتُ كهّانٌ كان ينزل عليهم الشيطان ، في كلّ حيٍّ واحدٌ »^(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله وما هنّ ؟ قال : « الشّرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ، وأكل الربّا ، وأكل مال اليتيم ، والتّوليّ يوم الزّحف ، وقذف المحصّنات الغافلات المؤمنات »^(٣) .

(١) رواه البخاري (الصحيح) ١٦٧٣/٤ (كتاب التفسير) (باب وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط) [سورة المائدة : ٦] معلقاً قال ابن حجر (فتح الباري) ٢٥٢/٨ : (وصله عبد بن حميد في تفسيره ، ومسدد في مسنده ، وعبد الرحمن بن رسته في كتاب الإيمان . . . وإسناده قوي . اهـ) .

(٢) رواه البخاري (الصحيح) ١٦٧٣/٤ (كتاب التفسير) (باب وإن كنتم مرضى . . .) معلقاً قال ابن حجر (فتح الباري) ٢٥٢/٨ : (وصله ابن أبي حاتم . . . فذكره وسكت عنه ، وكذا سكت عنه في (تغليق التعليق) ١٩٥/٤) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الوصايا باب قول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنِمْ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (١٠١٧/٣ ، ١٠١٨) حديث رقم (٢٦١٥) . ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (٩٢/١) حديث رقم (٨٩) .

وعن جُنْدَبٍ مرفوعاً : « حَدَّثَ السَّاحِرُ ضَرْبَهُ بِالسَّيْفِ » . رواه الترمذي .
وقال : الصحيح أَنَّهُ موقوف ^(١) .

وفي صحيح البخاري عن بجاله بن عبدة قال : كَتَبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أَنْ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ ، قال : فقتلنا ثلاث سواجر ^(٢) .

وصحَّ عن حفصة رضي الله عنها أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا ، فَقُتِلَتْ ^(٣) . وكذلك صحَّ عن جُنْدَبٍ ^(٤) . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

□ فيه مسائل :

• الأولى : تفسير آية البقرة .

• الثانية : تفسير آية النساء .

• الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

(١) (سنن الترمذي) ٦٠ / ٤ (كتاب الحدود) (باب ما جاء في حد الساحر) حديث رقم ١٤٦٠ وقال : (هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه ، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث . . . والصحيح عن جندب موقوف) . وضعف المرفوع - أيضاً - الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ١٠ / ٢٣٦ وقال : (في سنده ضعف . اهـ) .

(٢) رواه البخاري : كتاب فرض الخمس باب الجزية والمواذعة مع أهل الذمة والحرب (٣ / ١١٥١) حديث رقم (٢٩٨٧) . لكن لم يذكر قتل السواجر ، أما الحديث بلفظه فقد رواه أحمد (١ / ١٩٠ - ١٩١) وأبو داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس (٣ / ٤٣١) حديث رقم (٣٠٤٣) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٢٤) .

(٣) رواه البيهقي (السنن الكبرى) ٨ / ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح) .

(٤) قال البخاري (التاريخ الكبير) ٢ / ٢٢١ في ترجمة (جندب بن كعب) : (قاتل الساحر) ثم روى بسنده قال : حدثنا إسحاق حدثنا خالد الواسطي عن خالد الحذاء عن أبي عثمان كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعبجنا ، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله . وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات . ورواه - أيضاً - البيهقي (السنن الكبرى) ٨ / ١٣٦ (كتاب القسامة) (باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح) .

- الرابعة : أنَّ الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس .
- الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهاي .
- السادسة : أنَّ الساحر يكفر .
- السابعة : أنَّه يقتل ولا يُستتاب .
- الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده ؟ .



باب

بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قُطَيْبُ بْنُ قُبَيْصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقُ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجِبْتِ» .

قال عوف : الْعِيَافَةُ : زَجَرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ : الْخَطُّ يُحِطُّ بِالْأَرْضِ .
والجبت : قال الحسن : إِنَّهُ الشَّيْطَانُ . إسناده جيد .

ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المُسْنَدُ منه ^(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» . رواه أبو داود وإسناده صحيح ^(٢) .

(١) رواه الإمام أحمد (المسند) ٤٧٧ / ٣ و ٦٠ / ٥ كما ذكر المؤلف، وأبو داود في (السنن) ٢٢٨ / ٤ (كتاب الطب) (باب في الخط وزجر الطير) حديث رقم ٣٩٠٧، والنسائي في (الكبرى) في (كتاب التفسير) كما في (تحفة الأشراف) ٢٧٥ / ٨ وابن حبان (موارد الظمان) ص ٣٤٥ حديث رقم (١٤٢٦) قال النووي (رياض الصالحين) ص ٥٩١ حديث رقم ١٦٧٨ : (رواه أبو داود بإسناد حسن) . وضعفه بالإضطراب الألباني في (غاية المرام في تخريج الحلال والحرام) ص ١٨٤ لاختلاف الرواة في إسناده عن عوف - وهو ابن أبي جميلة - حيث قال بعضهم : (حيان) لم ينسبه، وقال بعضهم : (حيان أبي العلاء)، وقال بعضهم : (حيان بن العلاء)، وقال بعضهم : (حبان بن مخارق أبي يعلى) .

(٢) (السنن) ٢٢٦ / ٤ (كتاب الطب) (باب في النجوم) حديث رقم ٣٩٠٥ ولفظه : (من اقتبس علماً من النجوم) ولم يقل (شعبة)، ورواه - أيضاً - ابن ماجه (السنن) ١٢٢٨ / ٢ (كتاب الأدب) (باب تعلم النجوم) . قال النووي (رياض الصالحين) ص ٥٩١ حديث رقم (١٦٧٩) : (رواه أبو داود بإسناد صحيح) . وقال مثله الذهبي كما عزاه إليه المناوي في (فيض القدير) ٨٠ / ٦ وذكر أنه في (الكبائر)، وقد ذكر الإمام الذهبي هذا الحديث في (الكبائر) في (الكبيرة السادسة والأربعون) ولم أقف على ما نسبته إليه المناوي - رحمه الله - .

وللنسائي من حديث أبي هريرة : «من عقد عُقْدَةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئاً وكل إليه»^(١).

وعن ابن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال : «ألا هل أنبئكم ما العَصَةُ؟ هي النَّمِيمَةُ، القائلة بين الناس». رواه مسلم^(٢).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : «إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا»^(٣).

□ فيه مسائل :

- الأولي : أنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت .
- الثانية : تفسير العيافة والطرق .
- الثالثة : أنَّ علم النجوم نوع من أنواع السحر .
- الرابعة : أنَّ العقد مع النفث من ذلك .
- الخامسة : أنَّ النميمة من ذلك .
- السادسة : أنَّ من ذلك بعض الفصاحة .

(١) (السنن) ١١٢ / ٧ (كتاب تحريم الدم) (الحكم في السحرة) حديث رقم ٤٠٧٩ قال الذهبي (ميزان الاعتدال) ٣٧٨ / ٢ : (هذا الحديث لا يصح للين عباد، وانقطاعه). يريد بالانقطاع رواية الحسن له عن أبي هريرة، ولقوله (من تعلق شيئاً وكل إليه). شاهد من حديث عبد الله بن عكيم يرتقي به المنزلة الحسن لغيره وقد تقدم (باب ما جاء في الرقي والتهايم).

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة (٢٠١٢ / ٤) حديث رقم (٢٦٠٦) وزاد فيه : (وأن محمداً ﷺ قال : أن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب كذاباً).

(٣) رواه البخاري : كتاب النكاح باب الخطبة (١٩٧٦ / ٥) حديث رقم (٤٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . ومسلم : كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٤ / ٢) حديث رقم : (٨٦٩) عن عمار بن ياسر رضي الله عنه .

[[العليه :]]

باب السحر

وباب شيء من أنواع السحر

وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أنَّ كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية ، إلى مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره .

ولهذا قرنه الشارع بالشرك ، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين :
من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلُّق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه .

ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك ، وذلك من شعب الشرك والكفر .
وفيه أيضاً من التصرفات المحرَّمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحايين والصرف والعطف والسعي في تغيير العقول ، وهذا من أفظع المحرمات ، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعيَّن قتل الساحر لشدة ضرته وإفساده .

ومن أنواعه الواقعة في كثير من الناس النميمة ، لمشاركتها للسحر في التفريق بين الناس ، وتغيير قلوب المتحايين وتلقيح الشرور .
فالسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض .



باب

ما جاء في الكَهَّان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَفًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقَبَّلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(١).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رواه أبو داود^(٢).

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن^(٣): «مَنْ أَتَى عَرَفًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٤).
ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

(١) رواه مسلم: كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهَّان (١٧٥١/٤) حديث رقم: (٢٢٣٠). دون زيادة لفظه «فصدقه» وهي عند أحمد (٦٨/٤) (٣٨٠/٥).

(٢) (السنن) ٢٢٥/٤ (كتاب الطب) (باب في الكاهن) حديث رقم (٣٩٠٤) قال الترمذي (السنن) ٢٤٢/١ حديث (١٣٥): (وضعف محمد هذا الحديث من قبل إسناده). وقال المناوي (فيض القدير) ٢٤/٦: (قال البغوي: سنده ضعيف. وهو كما قال. وقال ابن سيد الناس: فيه أربع علل: التفرد عن غير ثقة وهو موجب للضعف، وضعف رواته، والانقطاع، ونكارة متنه. وأطال في بيانه. وقال الذهبي في (الكبائر) ليس إسناده بالقائم... وقال البخاري: لا يعرف لأبي تيممة سماع من أبي هريرة. اهـ).

(٣) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في «فتح المجيد» ص ٢٥٦: هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٤) ليس هو عند الأربعة بلفظ (من أتى عرافاً أو كاهناً) وإنما رواه بلفظ (من أتى كاهناً) فقط دون ذكر العراف، ولفظ المؤلف رواه الحاكم — كما قال — (المستدرک) ٨٨/١ وقال: (هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه). وقال الذهبي: (على شرطهما). وقال المناوي (فيض القدير) ٢٣/٦: (قال الحافظ العراقي في أماليه: حديث صحيح، ورواه عنه البيهقي في (السنن) ١٣٥/٨ فقال الذهبي: إسناده قوي. اهـ).

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رواه البزار بإسنادٍ جيّد^(١).

ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادٍ حسنٍ من حديث ابن عباس دون قوله «وَمَنْ أَتَى» إِلَى آخِرِهِ^(٢).

قال البغوي: العَرَّافُ: الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يُخْبِرُ عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يُخْبِرُ عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العَرَّافُ اسمٌ للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرُق.

وقال ابن عباس في قوم يكتُبون «أبا جاد» وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاقٍ^(٣).

(١) رواه الطبراني (المعجم الكبير) ٩٣/١٠ حديث رقم (١٠٠٥) قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١١٨/٥: (... رجال الكبر والبزار ثقات). وقال المنذري (الترغيب والترهيب) ٣٦/٤: (رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفاً). ولم أقف عليه في (كشف الأستار عن زوائد البزار) للهيتمي (كتاب الطب) منه.

(٢) كما في (كشف الأستار) ٣/٣٩٩ - ٤٠٠ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر) حديث رقم ٣٠٤٤ من طريق شيبان عن أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعاً وزاد فيه: (ومن عقد عقدة أو قال عقد عقدة). قال البزار: (قد روى بعضه من غير وجه فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن عمران بهذا الطريق، وأبو حمزة بصري لا بأس به). وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١١٧/٥: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. اهـ). ورواه أيضاً - البزار كما في (كشف الأستار) ٣/٣٣٩ (كتاب الطب) (باب الطيرة والكهانة والسحر). حديث رقم ٣٠٤٣ من طريق زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً نحوه. قال البزار: (لا نعلمه يروي عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه). قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١١٧/٥: (فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف. اهـ).

(٣) رواه عبد الرزاق (المصنف) ٢٦/١١ حديث رقم ١٩٨٠٥ نحوه.

□ فيه مسائل :

- الأولى : أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .
- الثانية : التصريح بأنه كفر .
- الثالثة : ذكر من تُكهنَ له .
- الرابعة : ذكر من تُطيرَ له .
- الخامسة : ذكر من سُحرَ له .
- السادسة : ذكر من تعلّم أباً جاد .
- السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعرفاء .

[[العهيد :]]

باب :

ما جاء في الكُهان ونحوهم

أي من كل من يدّعي علم الغيب بأي طريق من الطرق . وذلك أنّ الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب ، فمن ادّعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما أو صدّق من ادّعى ذلك ، فقد جعلَ لله شريكاً فيما هو من خصائصه ، وقد كذّب الله ورسوله .

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك ، والتقرّب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية ، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختصّ به ، ومن جهة التقرّب إلى غير الله .

وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول .



باب

ما جاء في النشرة

عن جابر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النَّشْرَةِ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١). رواه أحمد بسندٍ جيدٍ، وأبو داود وقال: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ.

وفي البخاري^(٢) عن قتادة: قُلْتُ لَابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طَبُّ أَوْ يُوَحِّدُ عَنْ امْرَأَتِهِ، أَتَحُلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنَّهَ عَنْهُ. إ.هـ.

وروي عن الحسن أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحُلُّ السَّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ.

قال ابنُ القَيِّمِ: النَّشْرَةُ حُلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أحدهما: حَلٌّ بِسَحَرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيَبْطُلُ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ.

والثاني: النَّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ فَهَذَا جَائِزٌ.

□ فِيهِ مَسَائِلُ:

• **الأولى:** النهي عن النشرة.

• **الثانية:** الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه، مما يزيل الإشكال.

(١) (المسند) ٢٩٤/٣، و(سنن أبي داود) ٢٠١/٤ (كتاب الطب) (باب في النشرة) حديث رقم ٣٨٦٨ وإسناده حسن لأجل (عقيل بن معقل) وهو ابن منبه اليماني ابن أخي وهب قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢٩/٢: صدوق.

(٢) (الصحيح) ٢١٧٥/٥ (كتاب الطب) (باب هل يستخرج السحر، وقال قتادة: قلت لسعيد ابن المسيب: رجل به طب... فذكره معلقاً. قال ابن حجر (تغليق التعليق) ٤٩/٥: وصله الطبري في (تهذيب الآثار). (إسناده صحيح. اهـ). وكذا وصله ابن عبد البر في (التمهيد) وصح ابن حجر إسناده أيضاً.

[التعليق]

باب:

النشرة

وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم في التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.



باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : (أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتُمُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

[الأعراف : ١٣١]

وقوله : (قَالُوا طَيَّرْتُمُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) [يس : ١٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر » . أخرجاه ^(١) .

زاد مُسْلِمٌ : « ولا نوء ، ولا غول » ^(٢) .

ولهما عن أَنَسٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عَدْوَى ، ولا طِيْرَة ، ويُعْجِبُنِي الْفَأْلُ » ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » ^(٣) .

ولأبي داود بسندٍ صحيح ، عن عروة بن عامر ، قال : ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ ،

(١) رواه البخاري : كتاب الطب ، باب لاهامة ولا صفر (٢١٧١/٥ - ٢١٧٢) حديث رقم (٥٤٢٥) . ومسلم : كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر (١٧٤٢/٤) حديث رقم (٢٢٢٠) .

(٢) رواه مسلم : كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول (١٧٤٤/٤) حديث رقم (٢٢٢٠) و(٢٢٢٢) قوله : لا نوء من حديث أبي هريرة ، وقوله : لا غول من حديث جابر .

(٣) رواه البخاري : كتاب الطب باب لا عدوى (٢١٧٨/٥) حديث رقم : (٥٤٤٠) ، ومسلم : كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٦/٤) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه برقم (٢٢٢٤) .

فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً : «الطيرة شركٌ، الطيرة شركٌ، وما مِنَّا إِلَّا... ولكن الله يُذهبه بالتوكل». رواه أبو داود والترمذي وصححه^(٢). وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو : «من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : «أن يقول : اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»^(٣).

(١) (السنن) ٢٣٥ / ٤ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٩ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٣٧٩ / ٥ : (عروة - هذا - قيل فيه القرشي... وقيل فيه : الجهني حكاهما البخاري، وقال أبو القاسم الدمشقي : ولا صحبة له تصح، وذكر البخاري وغيره أنه سمع من ابن عباس، فعلى هذا يكون الحديث مرسلًا). وقال ابن حجر (تهذيب التهذيب) ١٨٥ / ٧ : (عروة بن عامر القرشي، ويقال الجهني روى عن النبي ﷺ مرسلًا في الطيرة). وقال : (أثبت غير واحد له صحبة، وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً، والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة). قلت : وهذا الحديث من رواية حبيب - وهو ابن أبي ثابت - عنه، وانظر - أيضاً - (الإصابة في تمييز الصحابة) ٤١٥ / ٦ في ترجمة (عروة بن عامر).

(٢) (سنن أبي داود) ٢٣٠ / ٤ (كتاب الطب) (باب في الطيرة) حديث رقم ٣٩١٠ و(سنن الترمذي) ١٦١ / ٤ (كتاب السير) (باب ما جاء في الطيرة) حديث رقم ١٦١٤ وقال : هذا حديث حسن صحيح. اهـ. وقال - أيضاً - : (سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث : وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل. قال سليمان : هذا عندي من قول عبد الله ابن مسعود : وما منا. اهـ).

(٣) (المسند) ٢٢٠ / ٢ من طريق حسن ثنا ابن لهيعة أنا ابن هبيرة عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً... الحديث وإسناده ضعيف لأجل ابن لهيعة قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٤٤٤ / ١ (صدوق خلط بعد احتراق كتبه ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما). وهذا من رواية الحسن بن موسى الأشيب عنه.

وله من حديث الفضل بن عباس : «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»^(١).

□ فِيهِ مَسَائِل :

• **الأول :** التنبيه على قوله : «إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» مع قوله «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ».

• **الثانية :** نفي العدوى .

• **الثالثة :** نفي الطيرة .

• **الرابعة :** نفي الهامة .

• **الخامسة :** نفي الصفر .

• **السادسة :** أَنَّ الْفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ .

• **السابعة :** تفسير الفأل .

• **الثامنة :** أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كِرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ ، بَلْ يَذْهَبُهُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ .

• **التاسعة :** ذَكَرَ مَا يَقُولُ مِنْ وَجْده .

• **العاشرة :** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطَّيْرَةَ شِرْكٌ .

• **الحادية عشرة :** تَفْسِيرُ الطَّيْرَةِ الْمَذْمُومَةِ .

[الْعَهْدُ :

بَاب :

الطَّيْرَةُ

وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها، فمنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحبُّ الفأل ويكره الطيرة.

(١) (المسند) ٢١٣/١ من طريق حماد بن خالد ثنا ابن عثالة عن مسلمة الجهني قال : سمعته يحدث عن الفضل بن عباس قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً . . . وفي آخره : إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ . (ابن عثالة) هو محمد بن عبد الله بن عثالة قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١٧٩/٢ : (صديق يخطئ . اهـ).

والفرق بينهما: أنَّ الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

وصفة ذلك أنَّ يعزِّم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلاماً يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأما الطيرة فأنَّه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثر في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر.

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازماً على فعله أو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازماً عليه، فهذا كما ترى قد علّق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنَّه على هذا الوجه أثر على إيمانه وأخلّ بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما يحدث له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلّقه بالأسباب وبأمر ليس أسباباً، وانقطاع قلبه من تعلّقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي ولكنه يؤثر في قلبه حزناً وهمّاً وغماً، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شرٌّ وضررٌ على العبد، وضعفٌ لقلبه وموهنٌ لتوكله، وربما أصابه مكروه فظنَّ أنَّه من ذلك الأمر فقوي تطيره، وربما تدرج إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمّها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل.

وينبغي لمن وجد شيئاً من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه.

باب

ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه^(١): قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَىٰ بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِييَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. انْتَهَى.

وكره قتادة تعلُّم منازل القمر، ولم يُرَخِّص ابنُ عُيَيْنَةَ فيه، ذكره حربٌ عنهما.

ورَخَّصَ في تعلُّم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقُ السَّحْرِ». رواه أحمد وابن حبان في صحيحه^(٢).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأولى :** الحكمة في خلق النجوم.
- **الثانية :** الرد على من زعم غير ذلك.
- **الثالثة :** ذكر الخلاف في تعلم المنازل.
- **الرابعة :** الوعيد فيمن صدَّق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

(١) رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق باب في النجوم (٣/ ١١٦٨ - ١١٦٩).

(٢) (المسند) ٤/ ٣٩٩ و(موارد الظمآن) ص ٣٣٥ حديث رقم ١٣٨٠ و ١٣٨١ قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٥/ ٧٤: (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. اهـ) ورواه أيضاً - الحاكم (المستدرک) ٤/ ١٤٦ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الذهبي: صحيح. اهـ. وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيه (أبا حريز) وهو عبد الله بن الحسين الأزدي قال الذهبي (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٠٦: (فيه شيء). وقال المزني (تهذيب الكمال) ٢/ ٦٧٥: (استشهد به البخاري في الصحيح وروى له في الأدب). وقال ابن حجر (هدي الساري) ص ٤٥٧: (وثقة أبو زرعة واختلف فيه قول يحيى بن معين، وضعفه النسائي. اهـ).

[[التعليق :]]

باب :

ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان :

نوع يُسمى علم التأثير : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية ، فهذا باطلٌ ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفردَ به ، أو تصديق لمن ادَّعى ذلك ، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من تعلُّق القلب بغير الله ، ولما فيه من فساد العقل ، لأنَّ سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

النوع الثاني : علم التسيير : وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأسَ به ، بل كثيرٌ منه نافعٌ قد حثَّ عليه الشارع ، إذا كان وسيلةً إلى معرفة أوقات العبادات ، أو إلى الاهتداء به في الجهات .

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه ، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه ، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .



باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ) [الواقعة : ٨٢] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : أَرْبَعٌ فِي أُمْتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرَكُونَهَا : الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ .

وقال : « النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتَّبِ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ » . رواه مسلم ^(١) .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه ، قال : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ » . قالوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قال : « قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطَرْنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ » ^(٢) .

ولهما ^(٣) من حديث ابن عباس معناه ، وفيه : قال بعضهم : « لَقَدْ صَدَقَ

(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة (٦٤٤ / ٢) حديث رقم (٩٣٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء باب قول الله تعالى : (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ) (٣٥١ / ١) حديث رقم (٩٩١) . ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ، (٨٣ / ١ - ٨٤) حديث رقم (٧١) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء (٨٤ / ١) حديث رقم (٧٣) ولفظه : عن ابن عباس قال : مُطِرَ النَّاسَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ . فقال النبي ﷺ : « أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ . وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا » قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ فَلَا أَقْسَئُ بِمَوْقِعِ الشُّجُورِ ﴾ حتى بلغ (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ) الواقعة آية (٧٥ - ٨٢) . والحديث رواه مسلم ولم يروه البخاري كما عزا المؤلف (رحمه الله) . ولم يعزه المزي في (تحفة الأشراف) ٤ / ٦٩٩ حديث رقم ٥٦٧٢ للبخاري .

نوءٌ كذا وكذا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ :

(﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴾ * وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ) [الواقعة : ٧٥-٨٢] .

□ فِيْهِ مَسَائِلُ :

- الأولى : تفسير آية الواقعة .
- الثانية : ذكر الأربع التي من أمر الجاهلية .
- الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .
- الرابعة : أنَّ من الكفر ما لا يخرج عن الملة .
- الخامسة : قوله : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » بسبب نزول النعمة .
- السادسة : التفطن للإيمان في هذا الموضع .
- السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .
- الثامنة : التفطن لقوله : « لَقَدْ صَدَّقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا » .
- التاسعة : إخراج العالم للمتعليم المسألة بالاستفهام عنها لقوله : « أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ ؟ » .
- العاشرة : وعيد النائحة .

[التطليق :

باب :

الاستسقاء بالنجوم

لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولاً واعترافاً واستعانةً بها على طاعته كان قول القائل : مطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء .

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله ، فإنه الذي تفضّل بها على عباده .
ثم الأنواء ليست من الأسباب لتزول المطر بوجه من الوجوه ، وإنما السبب
عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال ،
فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم .
فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى
جميع الخلق ، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره .
وهذا الموضع من محققات التوحيد ، وبه يُعرفُ كامل الإيمان وناقصه .



باب

قول الله تعالى

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) الآية

[البقرة : ١٦٥]

وقوله : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ) [التوبة : ٢٤] .

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين » أخرجاه ^(١) .

ولهما عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار » ^(٢) .

وفي رواية : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله » إلى آخره ^(٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤ / ١) حديث رقم (١٥) . ومسلم : كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، (٦٧ / ١) حديث رقم : (٤٤) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان (١٤ / ١) حديث رقم (١٦) ومسلم : كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦ / ١) حديث رقم (٤٣) .

(٣) رواه البخاري : كتاب الأدب باب الحب في الله (٢٢٤٦ / ٥) حديث رقم (٥٦٩٤) . وتماه : « حتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وعن ابن عباس ، قال : « مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ ، وَوَالَى فِي اللَّهِ ، وَعَادَى فِي اللَّهِ ، فَإِنَّهُ تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ لَا يُجِدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا » . رواه ابن جرير ^(١) .

وقال ابن عباس في قوله : (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) [البقرة : ١١٦] .
قال : المودَّة ^(٢) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة .
- الثانية : تفسير آية براءة .
- الثالثة : وجوب [تقديم] محبته ﷺ على النفس والأهل والمال .
- الرابعة : أنَّ نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .
- الخامسة : أنَّ للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .
- السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تُنال ولَايَةُ اللَّهِ إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا .
- السابعة : فهم الصحابي للواقع : أنَّ عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .
- الثامنة : تفسير : (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) .
- التاسعة : أنَّ من المشركين من يحبُّ الله حبًّا شديدًا .
- العاشرة : الوعيد على من كان الثمانية أحبَّ إليه من دينه ^(٣) .

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس عند ابن جرير ، ووقفت عليه عند ابن المبارك (الزهد) ص ١٢١

حديث رقم ٣٥٣ (باب جليس الصدق) وفي إسناده (ليث) وهو ابن أبي سليم قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١٣٨/٢ : (صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك . اهـ) .

(٢) رواه ابن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٤٣/٢ من طريق محمد بن عمرو ثنا أبو

عاصم عن عيسى قال أخبرني قيس بن سعد عن عطاء عن ابن عباس قوله .

(٣) وهي الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن .

• **الحادية عشرة :** أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ نَدًّا تَسَاوَى مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فَهُوَ الشِّرْكَ الْأَكْبَرُ.

[[العنبر :]]

باب :

قول الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)
أصل التوحيد وروحه : إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعاً لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه .

ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله ، فيحب العبد ما يحبّه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده .

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ، ويقدم طاعتهم على طاعة الله ، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد ، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئاً ، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله ، وستنقلب هذه المودة والموالة بغضاً وعداوة .

واعلم أَنَّ أنواع المحبة ثلاثة أقسام :

الأول : محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد .

الثاني : المحبة في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم ، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم ، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها .

الثالث : محبة مع الله وهي محبة المشركين لأهلتهم وأندادهم من شجرٍ وحجرٍ وبشرٍ ومَلَكٍ ، وغيرها وهي أصل الشرك وأساسه .

وهنا قسم رابع : وهو المحبة الطبيعية التي تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها ، وهذه إذا كانت مباحة ، إن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب العبادات ، وإن صدّت عن ذلك وتوسّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات ، وإلّا بقيت من أقسام المباحات . والله أعلم .



باب قول الله تعالى

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

[آل عمران : ١٧٥]

وقوله : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [التوبة : ١٨] .

وقوله : (وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) الآية . [العنكبوت : ١٠] .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُوْتِكَ اللَّهُ ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ حِرْصٌ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةٌ كَارِهَةٌ»^(١) .

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ

(١) رواه أبو نعيم (الحلية) ١٠٦/٥ ، ٤١/١٠ من طريق علي بن محمد بن مروان - وهو السدي - ثنا أبي ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً . قال أبو نعيم : (غريب من حديث عمرو ، تفرد به علي بن محمد بن مروان عن أبيه) . وقال المناوي (فيض القدير) ٥٣٩/٢ حكاية عن البيهقي : (محمد بن مروان السدي أحد رجاله ضعيف) . وقال : وفيه - أيضاً - عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال : ضعفه . وللحديث طريق أخرى رواها أبو نعيم (الحلية) ١٠/٤١ من طريق شيخه أبي الفتح بن الحمصي أحمد بن الحسين بن محمد بن سهل فذكر أن علي بن جعفر البغدادي حدثهم قال : قال أبو موسى الدؤلي ثنا أبو يزيد البسطامي ثنا أبو عبد الرحمن السفدي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً . وقال : (وهذا الحديث مما ركب علي أبي يزيد ، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه) . وفيه - أيضاً - عطية العوفي المتقدم .

بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بَسَخَطَ اللَّهُ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ . رواه ابنُ حِبَّانَ في صحيحه^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولي : تفسير آية آل عمران .
- الثانية : تفسير آية براءة .
- الثالثة : تفسير آية العنكبوت .
- الرابعة : أنَّ اليقين يضعف ويقوى .
- الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .
- السادسة : أنَّ إخلاص الخوف لله من الفرائض .
- السابعة : ذكر ثواب من فعله .
- الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

[التعليق :

باب :

قول الله تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) الآية .

هذا الباب عقده المصنف رحمه الله لوجوب تعلُّق الخوف والخشية بالله وحده ، والنهي عن تعلُّقه بالمخلوقين ، وبيان أنَّه لا يتم التوحيد إلَّا بذلك .
ولابدَّ في هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه .
اعلم أنَّ الخوف والخشية تارة يقع عبادة ، وتارة يقع طبيعة وعادة وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته .

(١) موارد الظمان ص ٣٧٠ حديث رقم ١٥٤١ و ١٥٤٢ (كتاب الإمارة) (باب فيمن يرضى الله بسخط الناس) من طريقين عن عائشة . قال المناوي (فيض القدير) ٥١ / ٦ : (رمز المصنف - يعني السيوطي - لحسنه) . وأورده الألباني في (صحيح الجامع) ٦٠٩٧ وصححه .

فَإِنْ كَانَ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ خَوْفَ تَأْلِهِ وَتَعَبِدٍ وَتَقَرُّبٍ بِذَلِكَ الْخَوْفِ إِلَى مَنْ يَخَافُهُ وَكَانَ يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ بَاطِنَةٍ وَخَوْفِ سَرِيٍّ يَزْجُرُ عَنْ مَعْصِيَةِ مَنْ يَخَافُهُ كَانَ تَعَلُّقُهُ بِاللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَتَعَلُّقُهُ بِغَيْرِ اللَّهِ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، لِأَنَّهُ أَشْرَكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الْقَلْبِ غَيْرِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ، وَرَبَّمَا زَادَ خَوْفُهُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ عَلَى خَوْفِهِ مِنْ اللَّهِ.

وَأَيْضاً فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَحْدَهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَهُوَ مُخْلِصٌ مُوَحِّدٌ، وَمَنْ خَشِيَ غَيْرَهُ فَقَدْ جَعَلَ لِلَّهِ نِدّاً فِي الْخَشْيَةِ، كَمَنْ جَعَلَ لِلَّهِ نِدّاً فِي الْمَحَبَّةِ. وَذَلِكَ كَمَنْ يَخْشَى مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ أَنْ يَوْقَعَ بِهِ مَكْرُوهاً، أَوْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ فَيَسْلِبَهُ نِعْمَةً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، مِمَّا هُوَ وَاقِعٌ مِنْ عِبَادِ الْقُبُورِ.

وَإِنْ كَانَ الْخَوْفُ طَبِيعِيّاً كَمَنْ يَخْشَى مِنْ عَدُوٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ حَيَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَخْشَى ضَرَرَهُ الظَّاهِرِي، فَهَذَا النُّوعُ لَيْسَ عِبَادَةً وَقَدْ يَوْجَدُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَنَافِي الْإِيمَانَ.

وَهَذَا إِذَا كَانَ خَوْفاً مُحَقَّقاً قَدْ انْعَقَدَتْ أَسْبَابُ الْخَوْفِ فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ. وَإِنْ كَانَ هَذَا خَوْفاً وَهْمِيّاً كَالْخَوْفِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ سَبَبٌ أَصْلًا، أَوْ لَهُ سَبَبٌ ضَعِيفٌ فَهَذَا مَذْمُومٌ يَدْخُلُ صَاحِبُهُ فِي وَصْفِ الْجَبْنَاءِ، وَقَدْ تَعَوَّذَ ﷺ مِنَ الْجَبْنِ فَهُوَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الْإِيمَانُ التَّامُّ وَالتَّوَكُّلُ وَالشَّجَاعَةُ تَدْفَعُ هَذَا النُّوعَ، حَتَّى إِنَّ خَوَاصَّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَقْوِيَاءَهُمْ تَنْقَلِبُ الْمَخَافُوفُ فِي حَقِّهِمْ أَمْنًا وَطُمَأْنِينَةً لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ الشَّجَاعَةُ الْقَلْبِيَّةُ، وَكَمَالِ تَوَكُّلِهِمْ، وَلِهَذَا أَتْبَعَهُ بِهَذَا الْبَابِ.



باب

قول الله تعالى

(وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة : ٢٣]

وقوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) [الأنفال : ٢] .

وقوله : (يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال : ٦٤] .

وقوله : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق : ٣] .

وعن ابن عباس قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له :

(إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران : ١٧٣] . رواه البخاري والنسائي^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الْفَرَائِضِ .
- الثانية : أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ .
- الثالثة : تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَنْفَالِ .
- الرابعة : تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي آخِرِهَا .
- الخامسة : تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ .
- السادسة : عَظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ .

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير، باب «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» (٤/١٦٦٢) حديث رقم (٤٢٨٧) والنسائي في التفسير من الكبرى، كما في تحفة الأشراف (٥/٢٣٨) . والنسائي - أيضاً - في (عمل اليوم والليلة) ص ٣٩٣ حديث رقم (٦٠٣) .

[التعليق:]

باب :

قول الله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)

التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان ، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه ، ويتم توحيده ، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه .

وحقيقة التوكل على الله : أن يعلم العبد أن الأمر كله لله ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه ، وفي دفع المضار ، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه ، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة .

فتمت استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة ، وليبشر بكفاية الله له ووعدته للمتوكلين ، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك ، ومن توكل على غير الله ، وتعلق به ، وكِل إليه وخاب أمله .



باب

قول الله تعالى

(أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)

[الأعراف : ٩٩]

وقوله : (قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر : ٥٦] .

وعن ابن عباس : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ، فَقَالَ : «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»^(١) .

وعن ابن مسعود قال : أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ « رواه عبد الرزاق »^(٢) .

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

• الأولى : تفسير آية الأعراف .

• الثانية : تفسير آية الحجر .

• الثالثة : شدة الوعيد فيمن آمن مكر الله .

• الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

(١) رواه البزار كما في (كشف الأستار) ١ / ٧١ حديث رقم (١٠٦) وابن أبي حاتم كما في (تفسير ابن كثير) ١ / ٤٨٤ عند تفسير قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه . . .) الآية ٣١ البقرة من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً . قال ابن كثير: (وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً فقد روى عن ابن مسعود نحو ذلك) . وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١ / ١٠٤ : (رجال موثقون) وحسن إسناده السيوطي في (الدر المنثور) ٢ / ١٤٧ والعراقي في (تخريج إحياء علوم الدين) ٤ / ١٧ .

(٢) (المصنف) ١٠ / ٤٥٩ - ٤٦٠ حديث رقم ١٩٧٠١ من طريق معمر عن أبي إسحاق عن وبرة عن عامر بن الطفيل عن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر . . . الحديث قال ابن كثير (التفسير) ١ / ٤٨٤ : (هو صحيح إليه بلا شك) . وقال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١ / ١٠٤ : (إسناده صحيح . اهـ) .

[التعليق:]

باب :

قول الله تعالى (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ)

مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفاً من الله ، راجياً له راجباً راهباً ، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشياً ربه وخافه ، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع إن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها ، وخاف من ردّها بتقصيره في حقّها ، وإن ابتلي بمعصية رجا من ربّه قبول توبته ومحوها ، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنوب أن يعاقب عليها ، وعند النعم والمساير يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها ، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها ، وعند المكار والمصائب يرجو الله دفعها ويتنظر الفرج بحلّها ، ويرجو أيضاً أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ، ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب ، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب ، فالؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء وهذا هو الواجب وهو النافع ، وبه تحصل السعادة ، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين :

أحدهما : أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه .

الثاني : أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته ، فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيّع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان .

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران :

أحدهما : أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية ، ويقطع طمعه من رحمة الله ، لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة ، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً

لأزماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خيرٌ إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني : أن يقوى خوف العبد بما جنت يده من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فيأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وماله من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه، وإلى رحمته وجوده وكرمه.

وللأمن من مكر الله أيضاً سببان مهلكان :

أحدهما : إعراض العبد عن الدّين وغفلته عن معرفة ربه وماله من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصّراً عن الواجبات، منهمكاً في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء، لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

السبب الثاني : أن يكون العبد عابداً جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله فلا يزال به جهله حتى يُدَلَّ بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يُخدَل ويُحَال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذي جنى على نفسه.

فهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.



باب

من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

[التغابن : ١١]

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت » ^(١) .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » ^(٢) .

وعن أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَهُ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » . حَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٣) .

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في السن والنياحة (٨٢ / ١) حديث رقم (٦٧) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب (٤٣٥ / ١) حديث رقم (١٢٣٢) .

ومسلم : كتاب الإيمان باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية . (٩٩ / ١) حديث رقم (١٠٣) .

(٣) (السنن) ٦٠١ / ٤ (كتاب الزهد) (باب ما جاء في الصبر على البلاء) حديث رقم (٢٣٩٦) وقال : (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . اهـ) . قال المناوي (فيض القدير) ٢٥٨ / ١ : (قال الذهبي في موضع سعد ليس بحجة ، وفي موضع آخر كأنه غير صحيح . اهـ) وسعد المشار إليه هو (سعد بن سنان) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية التغابن .
- الثانية : أنَّ هذا من الإيمان بالله .
- الثالثة : الطعن في النسب .
- الرابعة : شدّة الوعيد فيمن ضرب الحدود وشقّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية .
- الخامسة : علامة إرادة الله بعبد الخير .
- السادسة : علامة إرادة الله به الشر .
- السابعة : علامة حبّ الله للعبد .
- الثامنة : تحريم السخط .
- التاسعة : ثواب الرضا بالبلاء .

[[التهليل]] :

باب :

من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

أمّا الصبر على طاعة الله ، والصبر عن معصيته ، فهو ظاهر لكل أحد أنّهما من الإيمان بل هما أساسه وفرعه ، فإنّ الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه ، وصبر عن محارم الله .

فإنّ الدّين يدور على ثلاثة أصول :

تصديق خبر الله ورسوله ، وامتنثال أمر الله ورسوله ، واجتناب نهيهما .

فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذا العموم ، ولكن خُصّ بالذكر لشدّة الحاجة إلى معرفته والعمل به .

فإنَّ العبد متى عَلِمَ أَنَّ المصيبة بإذن الله ، وَأَنَّ الله أَتَمَّ الحِكمة في تقديرها ،
وله النعمة السابعة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله وسلَّمَ لأمره وصَبَرَ على
المكارِه ، تقرباً إلى الله ، ورجاءً لشوابه ، وخوفاً من عقابه ، واغتناماً لأفضلِ
الأخلاق ، فاطمأنَّ قلبه وقويَّ إيمانه وتوحيده .



باب

ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَتَنَ كَانَ يُرِجُوا لِقَاءِ رَبِّهِ فَلَيعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف : ١١٠] .

وعن أبي هريرة مرفوعاً : قال الله تعالى : (أَنَا أَغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ) . رواه مسلم ^(١) .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ؟ » قالوا : بلى قال : « الشُّرْكُ الْخَفِيُّ : يَقُومُ الرَّجُلُ فَيَصْلِي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ » رواه أحمد ^(٢) .

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- الأول : تفسير آية الكهف .
- الثانية : الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله .
- الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى .
- الرابعة : أنَّ من الأسباب أنَّه خير الشُّرَكَاء .
- الخامسة : خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء .
- السادسة : أنَّه فسَّرَ ذلك بأنَّ المرء يصلي لله ، لكن يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ .

(١) رواه مسلم : كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله (٢٢٨٩/٤) حديث رقم (٢٩٨٥) .

(٢) (المسند) ٣/٣٠ وابن ماجه (السنن) ٢/١٤٠٦ (كتاب الزهد) (باب الرياء والسمعة) من طريق ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن أبي سعيد قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال . . . الحديث . قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢٩٦/٣ (هذا إسناد حسن ، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن مختلف فيهما . اهـ) .

باب

من الشرك : إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود : ١٥ ، ١٦] .

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رُضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ ، طَوْبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بَعْنَانٍ فَرَسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشَعَثَ رَأْسَهُ ، مُغَبَّرَةً قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » ^(١) .

□ فيه مسائل :

• الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

• الثانية : تفسير آية هود .

• الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

• الرابعة : تفسير ذلك بأنه إِنْ أُعْطِيَ رُضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ .

• الخامسة : قوله : « تَعَسَّ وَانْتَكَسَ » .

• السادسة : قوله : « وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ » .

• السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

(١) رواه البخاري : كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، (٣ / ١٠٥٧ - ١٠٥٨) حديث رقم (٢٧٣٠) .

[التعليق:]

باب :

ما جاء في الرياء

ثم قال :

باب :

من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

اعلم أنَّ الإخلاص لله أساس الدِّين ، وروح التوحيد والعبادة ، وهو أنَّ يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله ، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس ، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان ، وبحقوق الله ، وحقوق عباده ، مكملًا لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة ، لا يريد بذلك رياء ولا سمعةً ولا رياسةً ، ولا دنيا ، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده .

ومن أعظم ما ينافي هذا مراعاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم ، أو العمل لأجل الدنيا ، فهذا يقدر في الإخلاص والتوحيد .

واعلم أن الرياء فيه تفصيل :

فإنَّ كان الحامل للعبد على العمل قصد مراعاة الناس ، واستمر على هذا القصد الفاسد ، فعمله حابط وهو شرك أصغر ، ويخشى أن يتدرج به إلى الشرك الأكبر .

وإنَّ كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراعاة الناس ، ولم يقلع عن الرياء بعمله ، فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل .

وإنَّ كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده ، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله ، فإنَّ دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره ، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل ، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في

قلبه من الرياء ، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء .
والرياء آفة عظيمة ، ويحتاج إلى علاج شديد ، وتمرين النفس على
الإخلاص ، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة ، والاستعانة
بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده .

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها :

فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد ، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار
الآخرة ، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب .

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن ، فإن المؤمن ولو كان
ضعيف الإيمان ، لا بد أن يريد الله والدار الآخرة .

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا ، والقصدان متساويان أو
متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص ، وعمله
ناقص لفقده كمال الإخلاص .

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً ولكنه يأخذ على
عمله جُعلاً ومعلوماً يستعين به على العمل والدين ، كالجعلات التي تجعل على
أعمال الخير ، والمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق ، وكالأوقاف التي
تُجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها ، فهذا لا يضر أخذه
في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا ، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون
ما حصل له معيناً له على قيام الدين .

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً
كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة ، كما قد عرف تفاصيل ذلك .

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن ويوجب لك أن
تنزل الأمور منازلها والله أعلم .

باب

**من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله
أو تحليل ما حرّمه فقد اتخذهم أرباباً**

وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال أحمد بن حنبل : عجبْتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، ويذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول :

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

[النور : ٦٣]

أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك .

وعن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية :

(اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَهُمْ وَرُفَهَاءَهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة : ٣١] .

فقلتُ له : إنا لسنا نعبدهم . قال : « أليس يُحَرِّمُونَ ما أحلَّ الله فتُحَرِّمونه ، ويحلُّون ما حرَّم الله فتُحلُّونه » . فقلت : بلى . قال : « فذلك عبادتهم » . رواه أحمد والترمذي وحسنه (١) .

(١) لم أقف عليه في مسند الإمام أحمد ، ورواه الترمذي في (السنن) ٢٧٨ / ٥ (كتاب تفسير القرآن) (باب ومن سورة التوبة) حديث رقم (٣٠٩٥) وقال : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطف بن أعين ليس بمعروف في الحديث . اهـ) ، وقد حسنه شيخ الإسلام في الإتيان ص (٦٤) .

□ فيه مسائل :

• الأول : تفسير آية النور.

• الثانية : تفسير آية براءة.

• الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي .

• الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان .

• الخامسة : تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان

هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية، وعبادة الأجبار هي العلم

والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبدَ من دون الله من ليس من

الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .



باب

قول الله تعالى

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِء وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا) .

[النساء : ٦٠-٦٢]

وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) .

[البقرة : ١١]

وقوله : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف : ٥٦] .

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة : ٥٠] .

وعن عبدالله بن عمرو، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ »^(١) . قال النووي : حديثٌ صحيحٌ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(١) ذكره النووي في (الأربعين) ص ١٠٧ وقال : حديث حسن صحيح . اهـ والمراد بكتاب الحجة (كتاب الحجة على تاركى سلوك طريق المحجة) لابن الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي . والحديث رواه ابن أبي عاصم (السنّة) ١٢ / ١ حديث رقم (١٥) والبلغوي (شرح السنّة) ١ / ٢١٢ حديث رقم (١٠٤) من طريق نعيم بن حماد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً .
قال ابن رجب (جامع العلوم والحكم) ص ٣٦٤ متعباً بالنووي تصحيح الحديث : (تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه :
=

وقال الشَّعْبِي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومةً، فقال اليهودي: نتحاكم إلى مُحَمَّدٍ - عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جُهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ) [النساء: ٦٠] الآية^(١).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرخص برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله^(٢).

□ ١ - منها: أنه حديث ينفرد به نعيم بن حماد المروزي، ونعيم هذا وإن خلفه كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرج له البخاري فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنة، وتشدده في الرد على أهل الأهواء وكانوا ينسبونه إلى أنه يتهم، ويشبه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثر عثورهم على مناكيره حكموا عليه بالضعف... وأين كان أصحاب عبد الوهاب الثقفي؟ وأصحاب ابن سيرين؟ عن هذا الحديث حتى ينفرد به نعيم.

□ ٢ - ومنها: أنه قد اختلف على نعيم في إسناده. ثم حكى الاختلاف.

□ ٣ - ومنها: أن في إسناده عقبة بن أوس السدوسي البصري ويقال فيه يعقوب بن أوس ثم حكى خلاف العلماء في توثيقه وتضعيفه.

□ ٤ - وذكر عن الغلابي في (تاريخه): يزعمون أنه - يعني عقبة بن أوس - لم يسمع من عبد الله ابن عمرو، وإنما يقول: قال عبد الله بن عمرو، فعلى هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو منقطعة. والله أعلم.

(١) (جامع البيان) لابن جرير ٩٧/٥ من طرق عن داود عن عامر الشعبي مرسلاً.

(٢) ذكره معلقاً الواحدي (أسباب النزول) ص ١٠٧ - ١٠٨ في التحاكم إلى كعب بن الأشرف فقال: وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين... فذكره مطولاً، وكذا ذكره معلقاً البغوي (معالم التنزيل - بهامش تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ٥٥٢/١ وجعله عن أبي صالح وابن عباس وهو تحريف. وهذا الإسناد مع تعليقه فيه (الكلبي) وهو محمد بن السائب بن بشر قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١٦٣/٢: (متهم بالكذب ورمي بالرفض).

□ فيه مسائل :

- **الأولى :** تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .
- **الثانية :** تفسير آية البقرة : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) .
- **الثالثة :** تفسير آية الأعراف : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) .
- **الرابعة :** تفسير : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) .
- **الخامسة :** ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى .
- **السادسة :** تفسير الإيثار الصادق والكاذب .
- **السابعة :** قصة عمر مع المنافق .
- **الثامنة :** كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

[العهيق :]

باب :

من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّمه فقد اتخذهم أرباباً

باب :

قول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ)

ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإنّ الربّ والإله هو الذي له الحكم القدري ، والحكم الشرعي ، والحكم الجزائي ، وهو الذي يؤلّه ويُعبّد وحده لا

= وللحديث طريق أخرى عن ابن عباس رواها الواحدي (أسباب النزول) ص ١٠٦ - ١٠٧ والطبراني (المعجم الكبير) ٣٧٣/١١ حديث رقم ١٢٠٤٥ من طريق أبي اليان حدثنا صفوان ابن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه ، فتنافر إليه أناس من أسلم فأنزل الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ إلى قوله (رفيقاً) . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٦/٧ : (رجاله رجال الصحيح . اهـ) . وذكره الشيخ مقبل في (الصحيح المسند من أسباب النزول) ص ٤٥ .

شريك له ، ويُطاع طاعةً مطلقةً فلا يُعصى ، بحيث تكون الطاعات كلها تبعاً لطاعته ، فإذا اتخذ العبد العلماء والأمرء على هذا الوجه ، وجعل طاعتهم هي الأصل ، وطاعة الله ورسوله تبعاً لها فقد اتخذهم أرباباً من دون الله يتألههم ويحاكم إليهم ، ويقدم حكمهم على حكم الله ورسوله ، فهذا هو الكفر بعينه ، فإنَّ الحكم كله لله ، كما أنَّ العبادة كلها لله .

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكماً ، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله ، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصاً لوجه الله .

وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت ، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب .

فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه ، وفي كل الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر .

فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك رباً ، وقد حاكم إلى الطاغوت .



باب

مَنْ جَعَدَ شَيْئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وقول الله تعالى: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) [الرعد : ٣٠] .

وفي صحيح البخاري: قال عليٌّ: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟^(١) .

وروى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنكَاراً لَذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكِمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟ انْتَهَى^(٢) .

ولما سمعتُ قُرَيْشُ رسول الله ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) .

(١) رواه البخاري: كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا (٥٩/١) حديث رقم (١٢٧) .

(٢) (المصنف) ٤٢٣/١١ حديث رقم ٢٠٨٩٥ والحديث المشار إليه في (الصفات) رواه عبد الرزاق - أيضاً في (المصنف) ٤٢٢/١١ حديث رقم ٢٠٨٩٣ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (تجارت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقال الجنة: فها لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعثرهم ؟ فقال الله للجنة: إنها أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنها أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فإنهم يلقون فيها (وتقول هل من مزيد) فلا تمتلئ حتى يضع رجله - أو قال: قدمه - فيها فتقول: قط قط قط، فهناك تملأ وتنزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها ما شاء . اهـ) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .
- الثانية : تفسير آية الرعد .
- الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .
- الرابعة : ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله ، ولو لم يتعمد المنكر .
- الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه أهلكه .

[[التعليق :]]

باب :

من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

أصل الإيمان وقاعدته التي ينبنى عليها هو الإيمان بالله ، وبأسمائه ، وصفاته .

وكلما قوي علم العبد بذلك وإيمانه به ، وتعبد لله بذلك قوي توحيده ، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له في كماله مثيل ، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق ، وأن إلهية ما سواه باطلة ، فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه ، وذلك من شعب الكفر .



باب

قول الله تعالى

(يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) [النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: لولا فلان لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى قال:

«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»^(١)، الحديث - وقد تقدّم - وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً،

ونحو ذلك مما هو جارٍ على السنة كثير [من الناس].

□ فيه مسائل:

• الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

• الثانية: معرفة أن هذا جارٍ على السنة كثير [من الناس].

• الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

• الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

[العميق:]

باب:

قول الله تعالى: (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) [النحل: ٨٣].

الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً كما تقدّم، وبذلك يتم التوحيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافرٌ ليس معه من الدّين شيءٌ.

ومن أقرّ بقلبه أنّ النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره كما هو جارٍ على السنة كثير من الناس، فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليتها، وأن يجاهد نفسه على ذلك ولا يتحقق الإيمان التوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً.

فإنّ الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان :

اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره .

والتحدّث بها والثناء على الله بها .

والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته ، والله أعلم .



باب

قول الله تعالى

(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة : ٢٢]

قال ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشُّركُ ، أخفى من ديب النَّمْلِ على صفة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كُليَّةُ هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً ، هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم ^(١) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ» . رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم ^(٢) .

(١) قال ابن كثير (التفسير) ٥٧/١ - ٥٨ : قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا أبي عمرو حدثنا أبي الضحاك بن مخلد أبو عاصم حدثنا شبيب بن بشر حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل : «فلا تجعلوا لله أنداداً» الحديث بنحوه . وفي إسناده (شبيب ابن بشر) وهو النجلي قال ابن حجر (تهذيب التهذيب) ٣٠٦/٤ : (قال الدوري عن ابن معين ثقة . . . وقال أبو حاتم : لين الحديث حديثه حديث الشيوخ وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ كثيراً . اهـ) .

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي والحاكم عن (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه وإنما وقفت عليه عندهما عن ابن عمر ، رواه الترمذي (السنن) ١١٠/٤ (كتاب النذور والإيمان) (باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله) حديث رقم ١٥٣٥ وقال : هذا حديث حسن . اهـ . والحاكم في (المستدرک) ١٨/١ (كتاب الإيمان) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بمثل هذا الإسناد وخرجاه في الكتاب ، وليس له علة ولم يخرجاه . ورواه في موضع آخر (المستدرک) ٢٩٧/٤ (كتاب الإيمان والنذور) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . اهـ) .

وقال ابن مسعود: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كاذِباً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بغيره صادقاً^(١).

وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان». رواه أبو داود بسندٍ صحيح^(٢).

وجاء عن إبراهيم النخعي: أَنَّهُ يَكْرَهُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان.

□ فيه مسائل :

- الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد.
- الثانية : أَنَّ الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.
- الثالثة : أَنَّ الحلف بغير الله شرك.
- الرابعة : أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس.
- الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

(١) رواه عبد الرزاق (المصنف) ٤٦٩ / ٨ (كتاب الإيمان والنذور) (باب الأيمان ولا يحلف إلا بالله). حديث رقم ١٥٩٢٩ من طريق الثوري عن أبي سلمة عن وبرة قال: قال عبد الله - لا أدري ابن مسعود. أو ابن عمر -: لأن أحلف بالله كاذباً... مثله. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ١٧٧ / ٤ : (رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. اهـ) وأبو سلمة المذكور في إسناد عبد الرزاق لم أهدأ إليه. ورواية الطبراني المشار إليها في (المعجم الكبير) ٢٠٥ / ٩ حديث رقم (٨٩٠٢) من طريق مسعر بن كدام عن وبرة بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله: لأن أحلف... الحديث.

(٢) (السنن) ٢٥٩ / ٥ (كتاب الأدب) (باب لا يقال خبثت نفسي) حديث رقم ٤٩٨٠ وسكت عليه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود) ٢٧٤ / ٧.

[التعليق:]

باب :

قول الله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

الترجمة السابقة على قوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا) الآية ، يقصد بها الشرك الأكبر بأن يجعل لله ندًا في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات .

وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله ، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ كـ لولا الله وفلان وهذا بالله وبك ، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كـ لولا الحارس لأتانا اللصوص ، ولولا الدواء الفلاني هلك ، ولولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل فكل هذا ينافي التوحيد .

والواجب أن تُضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداءً ، ويُذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه ، فيقول : لولا الله ثم كذا ليعلم أنَّ الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره .

فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله ندًا في قلبه وقوله وفعله .



باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْذُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ». رواه ابن ماجه بسند حسن^(١).

□ فيه مسائل:

- الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.
- الثانية: الأمر للمحلف له بالله أن يرضى.
- الثالثة: وعيد من لم يرض.

[[العملية]]:

باب:

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

ويُراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه، لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه.

وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله.

(١) (السنن) ٦٧٩/١ (كتاب الكفارات) (باب من حلف له بالله فليرض) حديث رقم ٢١٠١ قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ١٤٣/٢: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات). وقال الألباني (الإرواء) ٣١٤/٨: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات كما قال البوصيري في الزوائد). وفي تصحيح إسناده نظر، لأن فيه (محمد بن عجلان) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ١٩٠/٢: (صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة).

وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرَضَ إلا بالحلف بالطلاق، أو دعاء
الخصم على نفسه بالعقوبات، فهو داخل في الوعيد لأن ذلك سوء أدب وترك
لتعظيم الله، واستدراك على حكم الله ورسوله.

وأما من عرفَ منه الفجور والكذب، وحلف على ما يتقن كذبه فيه، فإنه
لا يدخل تكذيبه في الوعيد للعلم بكذبه، وأنه ليس في قلبه من تعظيم الله ما
يطمئن الناس إلى يمينه، فتعين إخراج هذا النوع من الوعيد لأن حالته متيقنة والله
أعلم.



باب

قول: ما شاء الله وشئت

عن قُتَيْبَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: رَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتُ، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ (١).

ولهُ أَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ: «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» (٢).

ولابن ماجه ، عن الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لَأُمِّهَا، قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَا تَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَا تَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَا تَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَا تَنْتُمُ الْقَوْمَ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ وَآتَى عَلَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا

(١) (السنن) ٦/٧ (كتاب الأيمان والنذور) (باب الحلف بالكعبة) ولم أقف على تصحيح النسائي

له، وقال ابن حجر (الإصابة في تمييز الصحابة) ١٣/٩٤: (سند صحيح . اهـ).

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٥٤٥ - ٥٤٦ (النهي أن يقال ما شاء الله وشاء فلان) حديث رقم ٩٨٨

وابن ماجه (السنن) ١/٦٨٤ (كتاب الكفارات) (باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت).

حديث رقم ٢١١٧ قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢/١٥٠ (هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد

الله مختلف فيه ضعفه أحمد وأبو حاتم وأبو داود وابن سعد، ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب

ابن سفيان، وباقي رجال الإسناد ثقات).

وكذا أَنَّ أَنتَهاكُمْ عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .
- الثانية : فهم الإنسان إذا كان له هوى .
- الثالثة : قوله ﷺ : «أَجْعَلَنِي لِلَّهِ نَذًّا» . فكيف بمن قال : يا أَكْرَمَ الخلق مالي من ألُوذُبه سواك . والبيتين بعده ؟ .
- الرابعة : أَنَّ هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله : «يمنعني كذا وكذا» .
- الخامسة : أَنَّ الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي .
- السادسة : أَنَّها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

[[التعليق :]]

باب :

قول : ما شاء الله وشئت

هذه الترجمة داخلة في الترجمة السابقة (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) .



(١) (السنن) ١ / ٦٨٥ (كتاب الكفارات) (باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت) . حديث رقم ٢١١٨ ولم يسق لفظه ، قال البوصيري (مصباح الزجاجة) ٢ / ١٥٢ : (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم) .

باب

من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [الجاثية : ٢٤] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال الله تعالى : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ »^(١) . وفي رواية : « لَا تُسَبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ »^(٢) .

□ فيه مسائل :

• الأولى : النهي عن سب الدهر .

• الثانية : تسميته أذى لله .

• الثالثة : التأمل في قوله : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » .

• الرابعة : أنه قد يكون سباً ولو لم يقصده بقلبه .

[التهذيب :]

باب :

من سب الدهر فقد سب الله

وهذا واقع كثير في الجاهلية ، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحمقى ، إذا جرت تصارييف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير تفسير سورة الجاثية باب (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (٤ / ١٨٢٥) .

(١٨٢٦) رقم (٤٥٤٩) ومسلم : كتاب الألفاظ من الأدب باب النهي عن سب الدهر

(٤ / ١٧٦٢) رقم (٢٢٤٦) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الألفاظ من الأدب باب النهي عن سب الدهر (٤ / ١٧٦٣) حديث رقم

(٢٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

والوقت ، وربما لعنوه . وهذا ناشيء من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم ، فإنَّ الدهر ليس عنده من الأمر شيء ، فإنَّه مدبَّرٌ مصرَّفٌ والتصارييف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم ، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره .

وكما أنَّه نقص في الدِّين فهو نقصٌ في العقل ، فيه تزداد المصائب ويعظم وقعها ويغلق باب الصبر الواجب ، وهذا مُنافٍ للتوحيد .

أما المؤمن فإنه يعلم أنَّ التصارييف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته ، فلا يتعرض لعب ما لم يعبه الله ولا رسوله ، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأمره وبذلك يتم توحيده وطمأنينته .



باب

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ، رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

قال سُفيان: مثلُ شَاهَانُ شَاهُ.

وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ»^(٢).

قوله: «أَخْنَعَ» يعني: أَوْضَعَ.

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** النهي عن التسمي بملك الأملاك.
- **الثانية:** أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.
- **الثالثة:** التفتن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.
- **الرابعة:** التفتن أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.



(١) رواه البخاري: كتاب الأدب باب أبغض الأسماء إلى الله (٥/٢٢٩٢) حديث رقم (٥٨٥٣).
ومسلم: كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، (٣/١٦٨٨)
حديث رقم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الآداب باب تحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك (٣/١٦٨٨)
حديث رقم (٢١٤٣). وتام الحديث: «وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ يُسَمَّى مَلِكُ الْأَمْلاَكِ لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ».

باب

احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح: أَنَّهُ كَانَ يَكْنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَضَيَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قُلْتُ: شَرِيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟». قُلْتُ: شَرِيحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شَرِيحٍ». رواه أبو داود وغيره^(١).

□ فيه مسائل:

• الأول: احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يُقصد معناه.

• الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

• الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

[[التهذيب]]:

باب:

التسمي بقاضي القضاة ونحوه

وباب احترام أسماء الله، وتغيير الاسم لذلك

وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق، وهو أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ لَا يُجْعَلَ لِلَّهِ نَدٌّ فِي النِّيَّاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَلَا يُسَمَّى أَحَدٌ بِاسْمٍ فِيهِ نَوْعٌ مِثْلُ مِشَارَكَةِ اللَّهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَقَاضِي الْقَضَاةِ وَمَلِكِ الْمُلُوكِ وَنَحْوِهَا، وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ، أَوْ بِأَبِي الْحَكَمِ

(١) (السنن) ٥/ ٢٤٠ (كتاب الأدب) (باب في تفسير الاسم القبيح) حديث ٤٩٥٥ ورواه - أيضاً - النسائي (السنن) ٨/ ٢٢٦ - ٢٢٧ (كتاب آداب القضاة) (باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم). وسكت عليه أبو داود ثم المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٧/ ٢٥٤ وفي إسناده (يزيد ابن المقدم بن شرع) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢/ ٣٧١: (صدوق أخطأ عبد الحق في تضعيفه). فالإسناد لأجله حسن لذاته.

ونحوه ، وكل هذا حفظاً للتوحيد ولأسماء الله وصفاته ، ودفعاً لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يُخشى أن يُتدرج منها إلى أن يُظنَّ مشاركة أحد الله في شيء من خصائصه وحقوقه .



باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) [التوبة : ٦٥] .

وعن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائتنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك مُنَافِقٌ ، لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ، ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته . فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ، فحدثنا حديث الركب نقطع به عناء الطريق ، قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بِنَسْعَةٍ نَاقَةٍ رسول الله ﷺ وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنكِبُ رِجْلَيْهِ ، وهو يقول : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، فيقول له رسول الله ﷺ :

(أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [سورة التوبة : ٦٥-٦٦] . مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأولى : - وهي العظيمة - أَنَّ من هزل بهذا ، أنه كافر .
- الثانية : أَنَّ هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

(١) حديث ابن عمر رواه ابن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمود شاكر) ٣٣٣/١٤
حديث رقم ١٦٩١٢ ، وحديث محمد بن كعب رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١٦ ، وحديث
زيد بن أسلم رواه ابن جرير حديث رقم ١٦٩١١ وحديث قتادة رواه ابن جرير حديث
١٦٩١٤ وحديث ١٦٩١٥ .

- **الثالثة :** الفرق بين النعمة وبين النصيحة لله ولرسوله .
- **الرابعة :** الفرق بين العفو الذي يحبه الله ، الغلظة على أعداء الله .
- **الخامسة :** أنَّ من الاعذار مالا ينبغي أن يُقبل .

[العهديج :]

باب :

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

أي فإن هذا منافٍ للإيمان بالكلية ، ومخرج من الدين . لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله .

ومن الإيمان تعظيم ذلك ، ومن المعلوم أنَّ الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشدَّ من الكفر المجرد ، لأنَّ هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء .

فإنَّ الكفار نوعان : معرضون ومعارضون .

فالمعارض المحارب لله ورسوله ، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفراً وأعظم فساداً .

والهازل بشيء منها من هذا النوع .



باب

ما جاء في قول الله تعالى

(وَلَئِنْ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) [فصلت : ٥٠] .

قال مجاهد : هذا بعلمي ، وأنا محقوق به .

وقال ابن عباس : يُريدُ من عندي .

وقوله : (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) [القصص : ٧٨] .

قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب وقال آخرون : على علم من الله أَنِّي لَهُ أَهْلٌ وهذا معنى قول مجاهد : أُوتِيَتْهُ عَلَى شَرَفٍ .

وعن أَبِي هريرة ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبِعَثَّ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ ، قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، فَأَعْطِي لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ - شَكََّ إِسْحَاقُ - فَأَعْطِي نَاقَةً عَشْرَاءَ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

قال : فَأَتَى الْأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا ، فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ ، أَوِ الْإِبِلُ ، فَأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا ، قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قال : وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَأَبْصَرَ بِهِ النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ ، قَالَ : فَأَيُّ

المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والدأ، فأنْتَجَ هُذَانِ وولَدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل قد انقطعت بي الحال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال - بعيراً أتبلِّغ به في سفري، فقال: الحقُّوكُ كثيرة، فقال له: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ فقيراً، فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ، فقال: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: ثم أنه أتى الأعمى في صورته، فقال: رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٌ، قد انقطعت بي الحال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بَصْرَكَ شاةً أتبلِّغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذتهُ الله، فقال: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أخرجاه^(١).

□ فيه مسائل:

• الأول: تفسير الآية.

• الثانية: ما معنى: (لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي).

(١) رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع بني إسرائيل (٣/ ١٢٧٦) حديث رقم (٣٢٧٧). ومسلم: كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥ - ٢٢٧٧) حديث رقم (٢٩٦٤).

- **الثالثة :** ما معنى قوله : (إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) .
- **الرابعة :** ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

[التعليل]

باب :

قول الله تعالى : (وَلَئِن أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ) .

مقصود هذه الترجمة أَنَّ كل من زَعَم أَنَّ ما أُوتِيَهُ من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته ، أو أَنَّه مستحق لذلك لما يظن له على الله من الحقِّ فَإِنَّ هذا منافع للتوحيد لِأَنَّ المؤمن حقاً من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويشني على الله بها ، ويضيفها إلى فضله وإحسانه ، ويستعين بها على طاعته ولا يرى له حقاً على الله ، وَإِنَّمَا الحقُّ كله لله ، وَأَنَّهُ عبد محض من جميع الوجوه ، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد ، وبضده يتحقق كفران النعم ، والعجب بالنفس والإدلال الذي هو من أعظم العيوب .



باب

قول الله تعالى

(فَلَمَّا آتَاهُمَا صِلًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

[الأعراف : ١٩٠]

قال ابن خزم: اتَّفَقُوا على تحريم كلِّ اسم مُعَبَّد لغيرِ الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبدَ المطلب^(١).

وعن ابن عباس في الآية: قال: لما تَغَشَّاهَا آدَمُ حملت، فأَتَاهُمَا إبليس فقال: إني صاحبُكما الذي أخرجتكما من الجنة لستطيعاني أو لأجعلنَّ له قرني إبل فيخرجُ من بطنك فيشقُّه، ولأفعلنَّ ولأفعلنَّ، يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عبدَ الحارث، فأبيا أن يُطيعَاهُ، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأَتَاهُمَا، فقال مثل قوله، فأبيا أن يُطيعَاهُ، فخرج ميتًا، فأَتَاهُمَا فذكرَ لهما، فأدركهما حبُّ الولد، فسميَاهُ عبدَ الحارث، فذلك قوله: (جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا). رواه ابن أبي حاتم^(٢).

وله بسندٍ صحيحٍ عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله بسندٍ صحيحٍ عن مجاهد، في قوله:

(لَيْنَّاءَاتَيْنَا صِلًا) [الأعراف : ١٨٩].

(١) وذلك لأن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيها، لأنَّ أصله من عبودية الرق.

(٢) ذكره ابن كثير (التفسير) ٢/ ٢٧٥ من طريق عبد الله بن المبارك عن شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صِلًا﴾ [الأعراف : ١٩٠] ثم قال: (وكانه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب، فإن ابن عباس رواه عن أبي بن كعب كما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد - يعني ابن بشر - عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: لما حملت حواء أتاها الشيطان). وقال ابن كثير: (وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب. اهـ) وقال في بيان المراد في هذا السياق: (وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رحمه الله - في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. اهـ).

قال : أشفقاً أن لا يكون إنساناً .

وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

□ فيه مسائل :

- الأولى : تحريم كل اسم معبد لغير الله .
- الثانية : تفسير الآية .
- الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .
- الرابعة : أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم .
- الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة .

[[التعليق]] :

باب :

قول الله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا) .

مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد، وكمل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين في أبدانهم، وتماز ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا الله على إنعامه وأن لا يُعبّدوا أولادهم لغير الله، أو يضيفوا النعم لغير الله، فإن ذلك كفران للنعم مناف للتوحيد .



باب

قول الله تعالى

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) الآية .

[الأعراف : ١٨٠]

ذكر ابن أبي حاتم^(١) عن ابن عباس : (يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) : يُشْرِكُونَ .

وعنه : سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ .

وعن الأعمش : يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا .

□ فيه مسائل :

• الأولى : إثبات الأسماء .

• الثانية : كونها حسنى .

• الثالثة : الأمر بدعائه بها .

• الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

• الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

• السادسة : وعيد من ألحد .

[التعليق :

باب :

قول الله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) .

أصل التوحيد إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، أو أثبتته له رسوله من الأسماء

الحسنى ، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة ، والمعارف الجميلة ، والتعبد لله بها ودعاؤه بها .

(١) (الدر المنثور) ٣/ ١٤٩ وفيه (واللات من الله . . .) .

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه . فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى ، فمن دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق ، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك .

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة ، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها ، وتمتلئ بأجل المعارف .

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيماً لله وإجلالاً له .

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقاً له وحمداً له وشكراً .

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله وخشوعاً وانكساراً بين يديه .

وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة .

وأسماء الغنى والल्प تملأ القلب افتقاراً واضطراراً إليه ، والتفتاتاً إليه كل وقت ، في كل حال .

فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته ، وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجلاً ولا أفضل ولا أكمل منها ، وهي أفضل العطايا من الله لعبده ، وهي روح التوحيد وروحه .

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص ، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكمّل من الموحّدين .

وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى .
وأما الإلحاد في أسماء الله وصفاته فإنه ينافي هذا المقصد العظيم أعظم منافاة .

والإلحاد أنواع :

إما أن ينفي الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم .
وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم .
وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سموه اللات من الإله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى ، فشبهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة .
فحقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظاً أو معنى ،
تصريحاً أو تأويلاً أو تحريفاً ، وكل ذلك منافٍ للتوحيد والإيمان .



باب

لا يُقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا : السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ »^(١) .

□ فِيهِ مَسَائِل :

- الأولي : تفسير السلام .
- الثانية : أَنَّهُ تَحِيَّة .
- الثالثة : أَنَّهَا لَا تَصْلَحُ لِلَّهِ .
- الرابعة : الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ .
- الخامسة : تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي لَا تَصْلَحُ لِلَّهِ .

[التعليق:]

باب :

لا يُقال السلام على الله

وَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ » ، فَهُوَ تَعَالَى السَّلَامُ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ ، وَعَنْ مِمَّا ثَلَّةٍ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَهُ ، وَهُوَ الْمُسْلِمُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْآفَاتِ وَالْبَلِيَّاتِ ، فَالْعِبَادُ لَنْ يَبْلُغُوا ضَرَّهُ فَيَضُرُّهُ ، وَلَنْ يَبْلُغُوا نَفْعَهُ فَيَنْفَعُوهُ ، بَلْ هُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ ، الْمَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

(١) رواه البخاري : كتاب صفة الصلاة باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب

(٢٨٧/١) حديث رقم (٨٠٠) . ومسلم : كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة (١/٣٠١) -

(٣٠٢) حديث رقم (٤٠٢) .

باب

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح عن أبي هريرة أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا Mukrah له»^(١).
ومسلم: «وليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظم شيء أعطاه»^(٢).

□ فيه مسائل:

- الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.
- الثانية: بيان العلة في ذلك.
- الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».
- الرابعة: إعظام الرغبة.
- الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

[[التهذيب]]:

باب:

قول: اللهم اغفر لي إن شئت

الأمر كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلباً ملحاً جازماً، وهذا الطلب عين العبودية ومحلها.

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة فإنه لا Mukrah له (٢٣٣٤/٥). حديث رقم

(٥٩٨٠). ومسلم: كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت (٢٠٦٣/٤)

حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت (٢٠٦٣/٤) حديث

رقم (٢٦٧٩).

ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنَّه مأمورٌ به، وهو خيرٌ محضٌ لا ضررَ فيه، والله تعالى لا يتعاضمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتُها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كاللُّعاء المأثور: «اللهم أحييني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي». وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة لمعلوم نفعها وعدم ضررها، وأنَّ الدَّاعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضررها، فالدَّاعي يعلقها على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرةً ورحمةً ولطفاً.



باب

لا يَقُولُ : عَبْدِي وَأُمْتِي

في الصحيح عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ أَطْعَمَ رَبِّكَ، وَصَّىٰ رَبِّكَ، وَلَيَقُولُ : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأُمْتِي، وَلَيَقُولُ : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي »^(١).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأولى :** النهي عن قول : عَبْدِي وَأُمْتِي .
- **الثانية :** لا يقول العبد ربي، ولا يُقال له : أَطْعَمَ رَبِّكَ .
- **الثالثة :** تعليم الأول قول : فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي .
- **الرابعة :** تعليم الثاني قول : سَيِّدِي وَمَوْلَايَ .
- **الخامسة :** التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

[التعليق :

باب :

لا يقل عَبْدِي وَأُمْتِي

وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن قول عَبْدِي وَأُمْتِي إلى فَتَايَ وَفَتَاتِي، تحفظاً عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحدور ولو على وجه بعيد، وليس حراماً، وإنَّما الأدب كمال التحفُّظ بالألفاظ الطيبة التي لا توهم محدوراً بوجهه . فَإِنَّ الأدب في الألفاظ دليلٌ على كمال الإخلاص، خصوصاً هذه الألفاظ التي هي أَمَسُّ بهذا المقام .

(١) رواه البخاري : كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق (٢/ ٩٠١) حديث رقم (٢٤١٤) . ومسلم : كتاب الألفاظ من الأدب باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد (٤/ ١٧٦٤) حديث رقم (٢٢٤٩) .

باب

لا يرد من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه». رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح^(١).

□ فيه مسائل:

- الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.
- الثانية: إعطاء من سأل بالله.
- الثالثة: إجابة الدعوة.
- الرابعة: المكافأة على الصنعة.
- الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.
- السادسة: قوله: «حتى تروا أنكم قد كافأتموه».



(١) رواه أبو داود (السنن) ٣١٠ / ٢ (كتاب الزكاة) (باب عطية من سأل بالله) حديث رقم ١٦٧٢ والنسائي (السنن) ٨٢ / ٥ (كتاب الزكاة) (باب من سأل بالله عز وجل) والحاكم في (المستدرک) ٤١٢ / ١ وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين). وقال الذهبي: (على شرطهما). والحديث سكت عليه أبو داود ثم المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٢٥٣ / ٣ وإسناده رجاله ثقات ليس فيه إلا ما يخشى من عننة الأعمش له عن مجاهد.

باب

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُسألُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجنة ». رواه أبو داود^(١).

□ فيه مسائل :

• **الأولس :** النهي عن أن يُسأل بوجه الله إلا غاية المطالب .

• **الثانية :** إثبات صفة الوجه .

[التعليق :

باب :

لا يرد من سأل بالله

وباب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

الباب الأول خطاب للمسؤول : وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل ، وهو السؤال بالله ، أن يجيبه احتراماً وتعظيماً لحق الله ، وأداءً لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم .

والباب الثاني خطاب للسائل : وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته ، وأن لا يسأل شيئاً من المطالب الدنيوية بوجه الله ، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم ، ورضا الرب والنظر

(١) (السنن) ٣٠٩ / ٢ - ٣١٠ (كتاب الزكاة) (باب كراهية المسألة بوجه الله تعالى) . حديث رقم ١٦٧١ قال المنذري (مختصر السنن) ٢ / ٢٥٢ : (في إسناد سليمان بن معاذ قال الدارقطني : سليمان بن معاذ وهو سليمان بن قرم . . . تكلم فيه غير واحد) . وقال المناوي (فيض القدير) ٦ / ٤٥١ : (قال في المذهب : سليمان بن معاذ قال ابن معين : ليس بشيء . وقال عبد الحق وابن القطان : ضعيف . اهـ) .

إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه ، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يسأل بوجه الله .

وأما المطلب الدنيوية والأُمور الدنيئة وإنْ كَانَ الْعَبْدُ لَا يَسْأَلُهَا إِلَّا مِنْ رَبِّهِ فَإِنَّهُ لَا يَسْأَلُهَا بِوَجْهِهِ .



باب

ما جاء في اللو

وقول الله تعالى : (يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا) .

[آل عمران : ١٥٤]

وقوله : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا) [آل عمران : ١٦٨] .

في الصحيح عن أبي هريرة، أَنَّ رسول الله ﷺ قال : «أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعَيْنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأولى :** تفسير الآيتين في آل عمران .
- **الثانية :** النهي الصريح عن قول : «لو» إذا أصابك شيء .
- **الثالثة :** تعليل المسألة بأنَّ ذلك يفتح عمل الشيطان .
- **الرابعة :** الإرشاد إلى الكلام الحسن .
- **الخامسة :** الأمر بالحرص على ما ينفع، مع الاستعانة بالله .
- **السادسة :** النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

[التعليق :

باب :

ما جاء في اللو

اعلم أَنَّ استعمال العبد للفظه : «لو» تقع على قسمين : مذموم ومحمود .

(١) رواه مسلم : كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٢٠٥٢/٤) حديث رقم (٢٦٦٤) . وأوله : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، أحرص...» .

أما المذموم فأن يقع منه أو عليه أمرٌ لا يحبه فيقول: لو أُنِّي فعلتُ كذا لكان كذا، فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين:

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره فإن الأمور كلها والحوادث دقيقتها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: لو كان كذا أو لو فعلت كذا كان كذا، نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره.

ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

وأما المحمود من ذلك فأن يقولها العبد تمناً للخير.

كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأملت بالعمرة»^(١).

وقوله في الرجل المتمني للخير: «لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان»^(٢).

و «لو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نأهما»^(٣). أي في قصته مع الخضر.

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المنسك كلها إلا الطواف بالبيت (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٥) حديث رقم (١٥٦٨). ومسلم: كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام (٢/ ٨٨٣ - ٨٨٤) حديث رقم (١٢١٦). وهو جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي (السنن) ٤/ ٥٦٢ (كتاب الزهد) (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) حديث ٢٣٢٥ وقال: حسن صحيح. اهـ.

(٣) رواه البخاري: كتاب الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦ - ١٢٤٨) رقم (٣٢٢٠). ومسلم: كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام (٤/ ١٨٥٠ - ١٨٥٢) حديث رقم (٢٣٨٠) وهو جزء من حديث طويل عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وكما أنَّ (لو) إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود . فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم .

فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها .
إنَّ حملَ عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمنَّى الشر كان مذموماً .

وإنَّ حملَ عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محموداً ولهذا جعلَ المصنّف الترجمة محتملة للأمرين .



باب

النهى عن سب الرياح

عن أبي بن كعب رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ » . صححه الترمذي (١) .

□ فيه مسائل :

- الأول : النهي عن سب الرياح .
- الثانية : الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره .
- الثالثة : الإرشاد إلى أَنَّها مأمورة .
- الرابعة : أَنَّها قد تؤمر بخير ، وقد تؤمرُ بشر .

[التعليق :

باب :

النهى عن سب الرياح

وهذا نظير ما سبق في سب الدهر ، إلا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر ، وهذا خاص بالرياح ، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف في العقل والرأي ، فإن الرياح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيرها فإلساب لها يقع سبه على من صرفها ، ولولا أن المتكلم بسب الرياح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالباً لكان الأمر أفظع من ذلك ، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم .

(١) (السنن) ٤ / ٥٢١ (كتاب الفتن) (باب النهي عن سب الرياح) حديث رقم ٢٢٥٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح . اهـ . وقال : وفي الباب عن عائشة ، وأبي هريرة ، وعثمان بن أبي العاص ، وأنس ، وابن عباس ، وجابر ، قلت : وفي إسناد حديث أبي (محمد بن فضيل) قال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٢ / ٢٠١ : (صدوق . اهـ) .

باب

قول الله تعالى

(يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)
[آل عمران : ١٥٤] .

وقوله : (الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) [الفتح : ٦] .

قال ابن القيم في الآية الأولى :

فُسِّرَ هذا بأنَّه سبحانه لا يَنْصُرُ رسوله وَأَنَّ أمره سيضمحل ، وفُسِّرَ بظنهم أَنَّ ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر ، وإنكار أَنَّ يتم أمر رسوله ﷺ وَأَنَّ يظهره على الدين كله ، وهذا هو ظنَّ السوء ، الذي ظنَّه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظنَّ السوء لَّأنَّه ظنَّ غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصادق .

فمن ظنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الباطل على الحق إدالةً مستقرةً يضمحل معها الحق ، أو أنكر أَنَّ يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أَنَّ يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أَنَّ ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظنَّ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار .

وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يَسْلَمُ من ذلك إِلَّا من عَرَفَ الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه
ظنّ السوء .

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان
ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقلٌ ومُستكثرٌ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

فإن تَنَجَّ منها تَنَجَّ من ذي عزيمةٍ
وإلاَّ فإني لا إخالكَ ناجياً

□ فيه مسائل :

- الأولي : تفسير آية آل عمران .
- الثانية : تفسير آية الفتح .
- الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر .
- الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

[[التعليق :]]

باب :

قول الله تعالى : (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)

وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من
أسمائه وصفاته وكماله ، وتصديقه بكل ما أخبر إليه به من أسمائه وصفاته وكماله
وتصديقه بكل ما أخبر به ، وأنه يفعل ، وما وعد به من نصر الدين ، وإحقاق
الحق ، وإبطال الباطل ، فاعتقاد هذا من الإيمان ، وطمأنينة القلب بذلك من
الإيمان .

وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد ، لأنها سوء
ظن بالله ونفي لكماله وتكذيب لخبره وشك في وعده . والله أعلم .

باب

ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفسُ ابنِ عمرَ بيده، لو كان لأحدِهِمْ مثلُ أُحُدٍ ذَهَباً، ثم أنفقَه في سبيلِ الله ما قبلَه اللهُ منه، حتى يُؤمِنَ بالقَدَرِ. ثم استدلَّ بقولِ النبي ﷺ: «الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ». رواه مسلم^(١).

وعن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ: أَنَّهُ قال لابنَه: يا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَن تَجِدَ طَعَمَ الإِيمانِ حتى تَعلَمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فقال له: اكْتُبْ، فقال: رَبِّ وماذا أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ مَقادِيرَ كُلِّ شيءٍ حتى تقومَ السَّاعَةُ». يا بُنَيَّ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «من ماتَ على غيرِ هذا فليس مِنِّي»^(٢).

وفي رواية لأحمد: «إِنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ تعالى القَلَمَ، فقال له: اكْتُبْ، فَجَرَى في تلكَ السَّاعةِ بما هو كائنٌ إلى يومِ القِيامةِ»^(٣).

وفي رواية لابنِ وَهْبٍ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فمن لَمْ يُؤْمِنْ بالقَدَرِ خيره وَشَرُّه أَخْرَقَهُ اللهُ بالنَّارِ»^(٤).

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله... (١/٣٦، ٣٨) حديث رقم (٨). جزء من حديث جبريل المشهور وهو في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه باللفظ المذكور أبو داود في (السنن) ٧٦/٥ (كتاب السنة) (باب في القدر) حديث رقم ٤٧٠٠ سكت عنه أبو داود ثم المنذري في (مختصر سنن أبي داود ٦٩/٧ وله طرق كثيرة يصح بها. انظر (السنة) لابن أبي عاصم ٤٨/١ - ٤٩.

(٣) (المسند) ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت.

(٤) (القدر) لابن وهب ص ١٢١ حديث رقم ٢٦ من طريق عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال: قال عبادة بن الصامت... الحديث وإسناده منقطع بين (سليمان بن مهران) وهو الأعمش وكان مولوده أول إحدى وستين. (تهذيب التهذيب) ٢٢٣/٤ وبين (عبادة بن الصامت) وقد توفي سنة أربع وثلاثين (التقريب) ص ٢٩٢.

وفي المسند والسُنَنِ عن ابن الدَّيْلَمِيِّ، قال: أَتَيْتُ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبَلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصَيِّبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالَ: فَاتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ^(١).

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأول :** بيان فرض الإيِّان بالقدر.
- **الثانية :** بيان كيفية الإيِّان به .
- **الثالثة :** إحباط عمل من لم يؤمن به .
- **الرابعة :** الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيِّان حتى يؤمن به .
- **الخامسة :** ذكر أول ما خلق الله .
- **السادسة :** أنه جرى بالمقادير في تلك السَّاعة إلى قيام الساعة .
- **السابعة :** براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .
- **الثامنة :** عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .
- **التاسعة :** أنَّ العلماء أجابوه بما يزيل شبهته ، وذلك أنَّهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

(١) رواه أبو داود (السنن) ٥/ ٧٥ (كتاب السنة) (باب في القدر) حديث رقم ٤٦٩٩ وابن ماجه (السنن) ١/ ٢٩ - ٣٠ (المقدمة) (باب في القدر) حديث رقم ٧٧ والإمام أحمد (المسند) ٥/ ٨٢، ولم أقف عليه في (المستدرک) للحاكم ولعله أراد ابن حبان في (صحيحه) (موارد الظمان) ص ٤٥٠ حديث رقم ١٨١٧، قال المنذري في (مختصر السنن) ٧/ ٦٩: (وفي إسناده سعيد بن سنان الشيباني، وثقه يحيى بن معين وغيره، وتكلم الإمام أحمد وغيره). وقال فيه ابن حجر في (تقريب التهذيب) ١/ ٢٩٨: (صدوق له أوهام). وصححه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ١/ ١٠٩.

[التعليق:]

باب :

ما جاء في منكري القدر

قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أَنَّ الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وَأَنَّهُ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فَإِنَّهُ ما آمن بالله حقيقة .

فعلينا أَنْ نُؤْمِنَ بجميع مراتب القدر: فنؤمن أَنَّ الله بكل شيء عليم، وَأَنَّهُ كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وَأَنَّ الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره .

ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بَأَنَّ الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم .



باب

ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». أخرجاه^(١).

ولهما عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناس عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَاهِتُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»^(٢).

ولهما عن ابن عباس، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٣).

ولهما عنه مرفوعاً: «من صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(٤).

(١) رواه البخاري (الصحيح) ٢٧٤٧/٦ (كتاب التوحيد) (باب قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ حديث رقم ٧١٢٠. ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صور غير ممتهنة بالفرش ونحوه... (٣/١٦٧١) رقم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري: كتاب اللباس باب ما وطئ من التصاوير (٥/٢٢٢١) حديث رقم (٥٦١٠). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٣/١٦٦٨) حديث رقم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري: كتاب البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح (٢/٧٧٥) حديث رقم (٢١١٢). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٣/١٦٧٠ - ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠) واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري: كتاب اللباس باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ (٥/٢٢٢٣) حديث رقم (٥٦١٨). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٣/١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠).

ولمسلم عن أبي الهيثاج : قال : قال لي عليّ : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْ لَا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ » ^(١) .

□ فِيهِ مَسَائِلُ :

- **الأولى :** التغليظ الشديد في المصورين .
- **الثانية :** التنبيه على العلة وهو ترك الأدب مع الله لقوله : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي » .
- **الثالثة :** التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : (فليخلقوا ذُرَّةً) أو (شعيرة) .
- **الرابعة :** التصريح بأنهم أشدّ الناس عذاباً .
- **الخامسة :** أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ بَعْدَ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يَعَذِّبُ بِهَا الْمَصُورَ فِي جَهَنَّمَ .
- **السادسة :** أَنَّهُ يَكْلِفُ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ .
- **السابعة :** الْأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وَجَدَتْ .

[التعليق :

باب :

ما جاء في المصورين

وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل الله ندّاً في النيات والأقوال والأفعال ، والندّ المشابه ولو بوجه بعيد .

فانخاذ الصور الحيوانية تشبّه بخلق الله ، وكذب على الخلقة الإلهية ، وتمويه وتزوير ، فلذلك زجر الشارع عنه .



(١) رواه مسلم : كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (٢/٦٦٦) حديث رقم (٩٦٩) .

باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: (وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْحَلْفُ مَنَفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ». أخرجاه^(١).

وعن سلمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْيَمُطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رواه الطبراني بسند صحيح^(٢).

وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قال عمران: فلا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً؟ - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُؤْفَوْنَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»^(٣).

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع باب يمحق الله الربا ويُربي الصدقات (٢/ ٧٣٥) حديث رقم (١٩٨١). ومسلم: كتاب المساقاة باب النهي عن الحلف في البيع (٣/ ١٢٢٨) حديث رقم (١٦٠٦). في البخاري: محقة للبركة، وفي مسلم: محقة للربح.

(٢) (المعجم الكبير) ٦/ ٣٠١ حديث رقم ٦١١١ و(المعجم الصغير) ٢/ ٢١ من طريق سعيد بن عمرو الأشعثي حدثنا حفص بن غياث عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارس مرفوعاً وقال: لم يروه عن عاصم الأحفص. قال الهيثمي (مجمع الزوائد) ٤/ ٧٨: (رواه الطبري في الثلاثة إلا أنه قال في (الصغير) و(الأوسط): ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. فذكره ورجاله رجال الصحيح. اهـ) ولفظه في (الكبير): ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أشيمط زان... الحديث.

(٣) رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣/ ١٣٣٥)، حديث رقم (٣٤٥٠). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/ ١٩٦٤) حديث رقم (٢٥٣٥).

وفيه عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»^(١).

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

□ فيه مسائل:

- **الأولى:** الوصية بحفظ الأيمان.
- **الثانية:** الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة.
- **الثالثة:** الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه.
- **الرابعة:** التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.
- **الخامسة:** ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.
- **السادسة:** ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم.
- **السابعة:** ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.
- **الثامنة:** كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

[التعليق:]

باب:

ما جاء في كثرة الحلف

أصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجب أن لا يُحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقاً.

ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، بالكذب

وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

(١) رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي (٣/١٣٣٥) حديث رقم (٣٤٥١). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (٤/١٩٦٢ - ١٩٦٣) حديث رقم (٢٥٣٣) (٢١٠).

باب

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ) [النحل : ٩١].

عن بُرَيْدَةَ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا أَمَرَ أميراً على جيش ، أو سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، ومن معه من المسلمين خيراً . فقال : «اغزُوا بِسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، اغزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ ، إِلَّا أَنْ يَجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسَأَلْهُمْ الْجَزِيَّةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ .

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حَصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخَفَرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخَفَرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حَصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ ؛ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمُ اللَّهِ أَمْ لَا ؟ » . رواه مسلم ^(١) .

(١) رواه مسلم : كتاب الجهاد والسير باب تأمير الإمام الأمراء على البعث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها . (٣/ ١٣٥٦ - ١٣٥٨) حديث رقم (١٧٣١) .

□ فيه مسائل :

- **الأول :** الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .
- **الثانية :** الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً .
- **الثالثة :** قوله : «اغزوا بسم الله في سبيل الله» .
- **الرابعة :** قوله : «قاتلوا من كفر بالله» .
- **الخامسة :** قوله : «استعن بالله وقاتلهم» .
- **السادسة :** الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .
- **السابعة :** في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا ؟ .

[التعليق :

باب :

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها ، بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله . فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه ، وتركاً لتعظيم الله ، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبّه عليه ﷺ .

وفي ذلك أيضاً تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به ، فإنّ الوفاء بالعهود خصوصاً المؤكّدة بأغلظ الموائيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه .



باب

ما جاء في الاتسام على الله

عن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال رجلٌ : والله لا يغفر الله لفلانٍ ، فقال الله عزَّ وجلَّ : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرتُ له وأحببتُ عملك » . رواه مسلم ^(١) .

وفي حديث أبي هريرة ^(٢) : أنَّ القائل رجلٌ عابدٌ ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أُوْبَقْتُ دنياه وأخوته .

□ فيه مسائل :

- الأولى : التحذير من التألي على الله .
- الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله .
- الثالثة : أنَّ الجنة مثل ذلك .
- الرابعة : فيه شاهد لقوله : « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة » إلى آخره .
- الخامسة : أنَّ الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه .



(١) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى (٢٠٢٣/٤) حديث رقم (٢٦٢١) . وقامه : أو كما قال . اهـ .

(٢) رواه أبو داود في (السنن) ٢٠٧/٥ (كتاب الأدب) (باب النهي عن البغي) حديث رقم ٤٩٠١ وأوله : (كان رجلان في بني إسرائيل . . .) قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٢٢٥/٧ : (في إسناده علي بن ثابت الجزري قال الأزدي : ضعيف ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه . وقال ابن معين : ثقة ، وقال أبو زرعة : ثقة لا يأس به) . وقال ابن حجر (تقريب التهذيب) ٣٢/١ : (صدوق ربما أخطأ ، وقد ضعفه الأزدي بلا حجة . اهـ) .

باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نُهكت الأنفُسُ ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربَّكَ فإننا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ : «سبحان الله ، سبحان الله !» فما زال يُسَبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه . ثم قال النبي ﷺ : «ويحك ! أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنَّه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه» . وذكر الحديث ، رواه أبو داود^(١) .

□ فيه مسائل :

- الأول : الإنكار على من قال : «نستشفع بالله عليك» .
- الثانية : تغييره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .
- الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : «نستشفع بك على الله» .
- الرابعة : التنبيه على تفسير «سبحان الله» .
- الخامسة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

(١) (السنن) ٩٤ / ٥ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٦ قال المنذري (مختصر سنن أبي داود) ٩٧ / ٧ : (قال أبو بكر البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه ، ولم يقل فيه محمد بن إسحاق حدثني يعقوب بن عقبة) وقال : (ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس عن فلان ولم يقل حدثنا أو سمعت أو أخبرنا لا يحتج بخبره ، وإلى هذا أشار البزار مع أن ابن إسحاق إذا صرح بالسماع اختلف الحفاظ في الاحتجاج بحديثه فكيف إذا لم يصرح به . . .) وقد ناقش ابن القيم - رحمه الله - في (تهذيب السنن) ٩٤ / ٧ تعليل المنذري هذا مناقشة طويلة . والحديث ضعفه الألباني في تخريج (السنة) لابن أبي عاصم ٢٥٢ / ١ حديث رقم ٥٧٥ . ولم أقف على قوله (أن شأن الله أعظم من ذلك أنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) . في سنن أبي داود ، ووقفت عليه في (السنة) لابن أبي عاصم ٢٥٢ / ١ حديث رقم ٥٧٥ . وفي سنن أبي داود - أيضاً - مكان قوله (نهكت الأنفس) (نهكت الأموال) .

[التعليق:]

باب:

الإقسام على الله

وباب: لا يستشفع بالله على خلقه

وهذان الأمران من سوء الأدب في حق الله، وهو منافٍ للتوحيد.

أمّا الإقسام على الله فهو في الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله.

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأنًا من أن يتوسل به إلى خلقه، لأن رتبة المتوسل به غالباً دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الكائنات بأسرها.



باب

ما جاء في حماية النبي ﷺ

حمى التوحيد وسد طرق الشرك

عن عبدالله بن الشَّخِير رضي الله عنه ، قال : انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أَنْتَ سَيِّدُنَا ، فقال : «السيدُ الله تبارك وتعالى» ، قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ، فقال : «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» . رواه أبو داود بسندٍ جيّد^(١) .

وعن أنس رضي الله عنه : أَنَّ ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : « يا أيُّها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمدٌ عبدالله ورسوله ، ما أُحِبُّ أَنْ ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلَّ » . رواه النسائي بسندٍ جيّد^(٢) .

□ فيه مسائل :

- الأول : تحذير الناس من الغلو .
- الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : «أنت سيدنا» .
- الثالثة : قوله : «لا يستجرينكم الشيطان» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .
- الرابعة : قوله : «ما أُحِبُّ أَنْ ترفعوني فوق منزلتي» .

(١) (السنن) ٥/ ١٥٤ - ١٥٥ (كتاب الأدب) (باب في كراهية التماذج) حديث رقم ٤٨٠٦ قال ابن حجر (فتح الباري) ٥/ ١٧٩ : (رجاله ثقات وقد صححه غير واحد) . وقال المناوي (فيض القدير) ٤/ ١٥٢ : (سكت عليه أبو داود ثم المنذري) . اهـ .

(٢) (عمل اليوم والليلة) ص ٢٥٠ حديث رقم (٢٤٩) (ذكر اختلاف الأخبار في قول القائل سيدنا وسيدي) . من طريق أبي بكر بن نافع حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت عن أنس . الحديث بنحوه . وله طريق أخرى عن أنس عن الإمام أحمد (المسند) ٣/ ٢٤١ وطريقان آخران عن حماد به رواهما الإمام أحمد - أيضاً - (المسند) ٣/ ١٥٣ و ٢٤٩ قال ابن عبد الهادي (الصارم المنكي) ص ٢٤٦ : (وفي المسند بإسناد صحيح على شرط مسلم عن أنس . . . الحديث) .

[[العمليج :]]

باب :

ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك

تقدّم (١) نظير هذه الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام ، فإنّ التوحيد لا يتم ولا يحفظ ولا يحصن إلاّ باجتنب جميع الطرق المفضية إلى الشرك ، والفرق بين البابين أنّ الأول فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية ، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدّب والتحفظ بالأقوال .

فكل قول يُفضي إلى الغلو الذي يُخشى منه الوقوع في الشرك فإنّه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلاّ بتركه .

والحاصل أنّ تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته ، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً ، قولاً وفعلًا وإرادة واعتقاداً .
وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك .



(١) ص ٨٥ (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) .

باب

ما جاء في قول الله تعالى

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر : ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرُ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فيقول : أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) متفق عليه^(١) .

وفي رواية لمسلم : «وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُغُنَّ فيقول : أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ»^(٢) .

وفي رواية للبخاري : «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءِ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرُ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ» . أخرجاه^(٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤/١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم : كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦) . وليس فيها قوله : الماء على إصبع، والثرى على إصبع .
(٢) رواه مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٤/٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦) .

(٣) رواه البخاري : كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤/١٨١٢) حديث رقم (٤٥٣٣) ومسلم : كتاب صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار. (٤/٢١٤٧) حديث رقم (٢٧٨٦) .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يَطْوِي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(١).

ورؤي عن ابن عباس قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في كفّ الرحمن إلّا كخزْدَلَةٍ في يدٍ أَحَدِكُمْ^(٢).

وقال ابن جرير: حَدَّثَنِي يُونُسُ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمٍ سَبْعَةِ أَلْفَيْتٍ فِي تُرْسٍ»^(٣).

قال: وقال أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلِيقَتْ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(٤).

(١) رواه مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢١٤٨/٤) حديث رقم (٢٧٨٨).

(٢) رواه ابن جرير (التفسير) ١٧/٢٤ في تفسير قوله تعالى ﴿يَلِ اللَّهُ فاعبد وكن من الشاكرين وما قدرُوا الله حق قدره﴾، الآية من طريق معاذ بن هشام ثنى أبي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس مثله. إلا أنه قال (يد الله) مكان (كف الرحمن). وفي إسناده (عمرو بن مالك) وهو الفكري أبو مالك ذكره ابن أبي حاتم (الجرح والتعديل) ٢٥٩/٦ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقال ابن حبان (المجروحين) ١١٤/٣ في ترجمة ابنه (يحيى بن عمرو بن مالك): (... فيكون هو وأبوه جميعاً متروكين). وقال ابن عدى في ترجمة (أبي الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربيعي: (حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة أحاديث غير محفوظة). (تهذيب التهذيب) ٣٨٤/١.

(٣) (تفسير ابن جرير) ٧/٣ - ٨ (وابن زيد) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال الذهبي (العلو) ص ٩١: (هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف. اهـ).

(٤) ذكره ابن جرير - معلقاً - (التفسير) ٨/٣. بمثل لفظ المؤلف، وذكره الذهبي (العلو) ص ٨٩ - ٩٠ من طريق يحيى بن سعيد العيشمي حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر قلت: يا رسول الله أي آية أعظم؟ قال: آية الكرسي، ما السموات السبع في الكرسي ألا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الغلاة على تلك الحلقة). وقال: (وأحسب العيشمي هو الأموي صدوق وإلا فهو آخر، والخبر منكر. اهـ).

وعن ابن مسعود، قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق^(١).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم». أخرجه أبو داود وغيره^(٢).

(١) قول الذهبي في (العلو) ص ٣٩ لكنه قال: (والكرسي فوق الماء والله فوق الكرسي). ولم يذكر العرش. والحديث رواه ابن خزيمة (كتاب التوحيد) ص ١٠٥ و ١٠٦ (باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى). ورواه في موضع آخر ص ٣٧٦ - ٣٧٧ (باب ذكر موضع عرش الله عز وجل قبل خلق السموات) ورواه الذهبي (العلو) ص ٣٩ وصحح إسناده في موضع آخر من (العلو) ص ٦٤ وصحح إسناده - أيضاً - ابن القيم (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ١٠٠.

(٢) اللفظ المذكور لم أقف عليه عند أبي داود وقد رواه الإمام أحمد في (المسند) ١/ ٢٠٦ - ٢٠٧ مطولاً من طريقين: الأول عن عبد الله بن عميرة عن عباس بن عبد المطلب، والثاني عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب، وفي إسناده الطريق الأولى: يحيى بن العلاء وهو واه. (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩ وقال الذهبي في ترجمة (عبد الله بن عميرة): (فيه جهالة قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس). (ميزان الاعتدال) ٢/ ٤٦٩. ورواية أبي داود فيها أن المسافة بين السماء والأرض (أما واحداً أو اثنتين، أو ثلاثاً وسبعين سنة). (السنن) ٥/ ٩٣ (كتاب السنة) (باب في الجهمية) حديث رقم ٤٧٢٣ وإسناده ضعيف لما تقدم.

□ فيه مسائل :

- الأول : تفسير قوله [تعالى] : (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ) .
- الثانية : أَنَّ هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ ولم ينكروها ولم يتأولوها .
- الثالثة : أَنَّ الخبر لما ذكر ذلك للنبي ﷺ صدَّقه ونزل القرآن بتقرير ذلك .
- الرابعة : وقوع الضحك منه ﷺ لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم .
- الخامسة : التصريح بذكر اليدين وَأَنَّ السماوات في اليد اليمنى والأرضين في الأخرى .
- السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .
- السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .
- الثامنة : قوله : « كخردلة في كفِّ أحدكم » .
- التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات .
- العاشرة : عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي .
- الحادية عشرة : أَنَّ العرش غير الكرسي والماء .
- الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء ؟ .
- الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي ؟ .
- الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء ؟ .
- الخامسة عشرة : أَنَّ العرش فوق الماء .
- السادسة عشرة : أَنَّ الله فوق العرش .
- السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض ؟ .
- الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .
- التاسعة عشرة : أَنَّ البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله [مسيرة] خمسمائة سنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

[[التعليق :]]

باب :

قول الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)

ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذه الترجمة .

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ، ومجده وجلاله
وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه ، لأنَّ هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة
أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود وحده ، المحمود وحده ، الذي يجب أن يذل
له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله ، وأنه الحق وما سواه باطل ، وهذه
حقيقة التوحيد ولبه وروحه ، وسر الإخلاص .

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه ، إنه جواد كريم .
وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده ، وقد
حوى من غرر مسائل التوحيد . ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا
يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها .
والحمد لله على تيسيره ومنتته .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .



فهرس الأحاديث والآثار

الراوي	طرف الحديث	الصفحة
ابن عمر	أبالله وآياته ورسوله	١٥٣
أبو هريرة	اثنتان في الناس	١٢٤
أبو هريرة	اجتنبوا السبع الموبقات	٩٢
ابن عباس	أجعلتني لله نداً	١٤٦
أبو هريرة	احرص على ما ينفعك	١٧٠
عقبة بن عامر	أحسنها الفأل	١٠٣
محمود بن الربيع	أخوف ما أخاف عليكم	٣٠
أنس	إذا أراد الله بعبده	١٢٤
النواس	إذا أراد الله تعالى أن يوحى	٦٦
أبو هريرة	إذا قضى الله الأمر في السماء	٦٦
أبو مالك الأشعري	أربع في أمتي من أمر الجاهلية	١٠٩
؟	أرفع رأسك وقل يسمع	٧٠
عائشة	أشد الناس عذاباً	١٧٩
مجاهد	أشفقاً أن لا يكون إنساناً	١٥٩
؟	أصبح من عبادي مؤمن	١٣٩ و ١٠٩
بريدة	اغزوا بسم الله	١٨٣
عمر	اقتلوا كل ساحر	٩٣
ابن مسعود	أكبر الكبائر الإشراك	١٢١
عدي بن حاتم	أليس يحرمون ما أحل الله	١٣١
الطفيل	أما بعد فإن طفيلاً رأى	١٤٦
أبو هريرة	أنا أغنى الشركاء	١٢٧
عمران بن حصين	انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً	٤١
أبو هريرة	إن أخرج اسم عند الله	١٥٠
ثوبان	إن الله زوى لي الأرض	٨٨
ابن شريح	إن الله هو الحكم	١٥١
عبادة بن الصامت	إن أول ما خلق الله القلم	١٧٦

الراوي	طرف الحديث	الصفحة
أبو هريرة	أن ثلاثة من بني إسرائيل	١٥٥
؟	إن الحمد لله نحمده	٥
ابن مسعود	إن الرقي والتمايم والتولة	٤٥
أنس	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	١٢٤
قبيصة	إن العيافة والطرق	٩٥
ابن عمر	إن من البيان لسحراً	٩٦
ابن مسعود	إن من شرار الناس	٨٠
أبو سعيد	إن من ضعف اليقين	١١٦
ابن عباس	إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب	٣٣
قتيلة	إنكم تشركون	١٤٦
الفضل	إنما الطيرة ما أمضاك	١٠٥
؟	إنه لا يستغاث بي	٥٩
جندب	إني أبرأ إلى الله أن يكون	٧٩
عائشة	أولئك إذا مات فيهم الرجل	٧٩
علي	ألا أبعثك على ما بعثني	١٨٠
أبو سعيد	ألا أخبركم بما هو أخوف	١٢٧
ابن مسعود	ألا هل أبنئكم ما العضه؟	٩٦
؟	إياكم والغلو	٧٦
أبو واقد	الله أكبر إنها السنن	٤٩
ابن عمر	اللهم العن فلانا	٦٢
مرسل	اللهم لا تجعل قبري	٨٢
ابن عباس	الأنداد هو الشرك	١٤١
ابن عمر	الإيمان أن تؤمن بالله	١٧٦
ابن مسعود	بين الأسماء الديننا والتي	١٩٢
أبو هريرة	تعس عبد الدينار	١٢٨
أنس	ثلاث من كن فيه وجد	١١٢
أبو موسى	ثلاثة لا يدخلون الجنة	١٠٧
سلمان	ثلاثة لا يكلمهم الله	١٨١

الراوي	طرف الحديث	الصفحة
؟	جعلت لي الأرض مسجداً	٨٠
عمر	الجبت السحر	٩٢
؟	الجنة أقرب إلى أحدكم	٥٣
علي	حدثوا الناس بما يعرفون	١٣٧
جندب	حد الساحر ضربه	٩٣
ابن عباس	حسبنا الله ونعم الوكيل	١١٩
أبو هريرة	الحلف منفقة للسلعة	١٨١
قتادة	خلق الله هذه النجوم لثلاث	١٠٧
عمران بن حصين	خير أمتي قرني	١٨١
ابن مسعود	خير الناس قرني	١٨٢
طارق	دخل الجنة رجل في ذباب	٥٢
جبير	سبحان الله سبحان الله	١٨٦
عبدالله بن الشخير	السيد الله تبارك وتعالى	١٨٨
قتادة	شركاء في طاعته	١٥٨
ابن عباس	الشرك بالله واليأس	١٢١
جابر	الطواغيت كهان	٩٢
ابن مسعود	الطيرة شرك	١٠٤
أحمد بن حنبل	عجبت لقوم عرفوا الإسناد	١٣١
ابن عباس	عرضت علي الأمم	٢٦
قتادة	علي علم مني بوجوه المكابس	١٥٥
عوف	العيافة زجر الطير	٩٥
زيد بن خالد	قال أصبح من عبادي مؤمن	١٠٩
جندب	قال رجل والله لا يغفر الله	١٨٥
أبو هريرة	قال الله تعالى ومن أظلم	١٧٩
أنس	قال الله تعالى يا ابن آدم	٢٢
أبو هريرة	قال الله تعالى يؤذني ابن آدم	١٤٨
أبو سعيد	قال موسى عليه السلام يا رب	٢١
الشعبي	كان بين رجل من المنافقين	١٣٤

الراوي	طرف الحديث	الصفحة
ابن عباس	كان يلت السويق للحاج	٨٢
مجاهد	كان يلت لهم السويق	٨٢
ابن عباس	كل مصور في النار	١٧٩
أنس	كيف يفلح قوم شجوا	٦٢
سهل	لأعطين الراية غداً	٣٣
ابن مسعود	لأن أحلف بالله كاذباً	١٤٢
أبو سعيد	للتبعن سنن من كان	٨٨
ابن عباس	لعن رسول الله زائرات	٨٢
علي	لعن الله من ذبح لغير الله	٥٢
عائشة	لعنة الله على اليهود	٧٩
ابن عباس	لما تغشاها آدم	١٥٨
؟	لو استقبلت من أمري	١٧١
أبي بن كعب	لو أنفقت مثل أحد ذهباً	١٧٧
؟	لو أن لي مثل مال فلان	١٧١
؟	لو صبر أخي موسى لقص الله	١٧١
عمران	ليس منا من تطير أو تطير له	٩٩
ابن مسعود	ليس منا من ضرب الخدود	١٢٤
أبي	ما السموات السبع في الكرسي	١٩١
ابن عباس	ما السموات السبع والأرضون	١٩١
أبو ذر	ما الكرسي في العرش	١٩١
أبو هريرة	من أتى عرافاً	٩٨
بعض أزواج النبي ﷺ	من أتى عرافاً فسأله	٩٨
أبو هريرة	من أتى كاهناً فصدقه	٩٨
ابن عباس	من أحب في الله	١١٣
ابن مسعود	من أراد أن ينظر إلى وصية	١٦
ابن عباس	من اقتبس شعبة	٩٥
عائشة	من التمس رضا الله	١١٦
عقبة	من تعلق تميمة فقد	٤١

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
من تعلق تميمة فلا	عقبة	٤١
من تعلق شيئاً وكل إليه	عبدالله بن عكيم	٤٥
من حلف بغير الله	عمر	١٤١
من رده الطيرة	ابن عمرو	١٠٤
من سأل بالله	ابن عمر	١٦٧
من شهد أن لا إله إلا الله	عتبان وعبادة	٢١
من صور صورة في الدنيا	ابن عباس	١٧٩
من عقد عقدة	أبو هريرة	٩٦
من قال لا إله إلا الله	أبو هريرة	٧١
من قال لا إله إلا الله وكفر	؟	٣٧
من لقي الله لا يشرك به	جابر	٣٠
من مات وهو يدعو	ابن مسعود	٣٠
من نذر أن يطيع	عائشة	٥٧
من نزل منزلاً	خولة	٥٨
النايحة إذا لم تتب	أبو مالك الأشعري	١٠٩
هذه أسماء رجال صالحين	ابن عباس	٧٥
هل تدرون كم بين السماء	العباس	١٩٢
هل تدرون ماذا قال ربكم؟	زيد بن خالد	١٠٩
هل كان فيها وثن	ثابت	٥٥
هلك المتنطعون	ابن مسعود	٧٦
هي من عمل الشيطان	جابر	١٠١
وما قدروا الله حق قدره	ابن مسعود	١٩٠
ويحك أتدري ما الله	جبير	١٨٦
لا أسأل عن عبادي	؟	١١
لا تتخذوا قبوري عيداً	علي	٨٥
لا تجعلوا بيوتكم قبوراً	أبو هريرة	٨٥
لا تحلفوا بأبائكم	ابن عمر	١٤٤
لا تسبوا الدهر	أبو هريرة	١٤٨

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٧٣	أبي بن كعب	لا تسبوا الريح
٧٥	عمر	لا تطروني كما أطرت
١٦٣	ابن مسعود	لا تقولوا السلام على الله
١٤٢	حذيفة	لا تقولوا ما شاء الله وشئت
٢٦	بريدة	لا رقية إلا من عين
١٠٣	أبو هريرة	لا عدوى ولا طيرة
١٠٣	أنس	لا عدوى ولا طيرة
١١٢	؟	لا يجد أحد حلاوة الإيمان
١٦٨	جابر	لا يسأل بوجه الله
١٦٦	أبو هريرة	لا يقل أحدكم اطعم ربك
١٦٤	أبو هريرة	لا يقل أحدكم اللهم اغفر
١١٢	أنس	لا يؤمن أحدكم حتى أكون
١٣٣	عبدالله بن عمرو	لا يؤمن أحدكم حتى يكون
١٨٨	أنس	يا أيها الناس قولوا
٤٦	رويفع	يا روفيع لعل الحياة
٧٣	المسيب	يا عم قل لا إله إلا الله
١٦	معاذ	يا معاذ أتدري ما حق الله
٦٣	أبو هريرة	يا معشر قريش اشتروا
١٩١	ابن عمر	يطوي الله السموات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
○ مقدمة التحقيق.....	٥
○ مقدمة القول السديد شرح كتاب التوحيد.....	٩
○ مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السنة وخالصتها المستمدة من الكتاب والسنة.....	١٠
○ كتاب التوحيد.....	١٥
○ أقسام التوحيد.....	١٨
○ باب : فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.....	٢١
○ باب : من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.....	٢٦
○ باب : الخوف من الشرك.....	٣٠
○ باب : الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.....	٣٣
○ باب : تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.....	٣٧
○ حقيقة تفسير التوحيد.....	٣٩
○ باب : من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.....	٤١
○ تقسيم بديع للأسباب وتوضيح كافٍ شافٍ.....	٤٢
○ باب : ما جاء في الرقى والتماثم.....	٤٥
○ تقسيم التماثم وبيان حكمها.....	٤٧
○ التفصيل في مسألة الرقى.....	٤٨
○ باب : من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما.....	٤٩
○ باب : ما جاء في الذبح لغير الله.....	٥٢
○ حدّ الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده.....	٥٤
○ باب : لا يُذبح لله بـمكان يُذبح فيه لغير الله.....	٥٥
○ باب : من الشرك : النذر لغير الله.....	٥٧
○ باب : من الشرك : الاستعاذة بغير الله.....	٥٨
○ باب : من الشرك : أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.....	٥٩
○ الفرق بين الدعاء والاستغاثة.....	٦١

- ١١٤ أصل التوحيد وروحه
- ١١٤ أنواع المحبة
- باب : قول الله تعالى : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي) (١١٦)
- باب : قول الله تعالى : (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١١٩)
- باب : قول الله تعالى : (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) (١٢١)
- باب : من الإيمان بالله : الصبر على أقدار الله (١٢٤)
- باب : ماجاء في الرياء (١٢٧)
- باب : من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا (١٢٨)
- تفصيل مفيد في مسألة الرياء (١٢٩)
- باب : من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّم الله فقد اتخذهم أرباباً (١٣١)
- باب : قول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ) (١٣٣)
- بحث مفيد في التحاكم إلى غير الله (١٣٥)
- باب : من جحد شيئاً من الأسماء والصفات (١٣٧)
- باب : قول الله تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ) (١٣٩)
- باب : قول الله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (١٤١)
- باب : ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله (١٤٤)
- باب : قول : ماشاء الله وشئت (١٤٦)
- باب : من سبّ الدهر فقد آذى الله (١٤٨)
- باب : التسمي بقاضي القضاة ونحوه (١٥٠)
- باب : احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك (١٥١)
- باب : من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول (١٥٣)
- باب : ما جاء في قول الله تعالى : (وَلَئِن أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) (١٥٥)
- باب : قول الله تعالى : (فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١٥٨)

- باب : قول الله تعالى : (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) ١٦٠
- أنواع الإلحاد ١٦٢
- باب : لا يقال : السلام على الله ١٦٣
- باب : قول : اللهم اغفر لي إن شئت ١٦٤
- باب : لا يقول : عبيدي وأمتي ١٦٦
- باب : لا يرد من سأل بالله ١٦٧
- باب : لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ١٦٨
- باب : ما جاء في اللو ١٧٠
- باب : النهي عن سب الريح ١٧٣
- باب : قول الله تعالى : (يَطْنُونَكَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) ١٧٤
- باب : ما جاء في منكري القدر ١٧٦
- باب : ما جاء في المصورين ١٧٩
- باب : ما جاء في كثرة الحلف ١٨١
- باب : ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ١٨٣
- باب : ما جاء في الإقسام على الله ١٨٥
- باب : لا يستشفع بالله على خلقه ١٨٦
- باب : ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ١٨٨
- باب : ما جاء في قول الله تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَنَانٌ عَمَّا يُشْرَكُونَ) ١٩٠
- فهرس الأحاديث والآثار ١٩٥
- فهرس الكتاب ٢٠١

تنبیه ورجاء

لقد جهدت دار التحف النفائس الدولية بالرياض في سبيل إخراج هذا العمل خالياً من الأخطاء ، وبما أن ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فإننا نهيب بك يا أخي القاريء إن وجدت هفوة ندت مناً أن تنبهنا إليها ، لننتدرك ذلك في الطباعات القادمة - إن شاء الله - . وجزاك الله خيراً .